

هناوي للمؤرخ



جوهرة المدينة

إضاءات من حياة السيدة أم البنين عليها السلام



جوهرة المدنية

إضاءات من حياة السيدة أم البنين عليها السلام

هادي المدرسي

جوهرة المدينة

إضاءات من حياة السيدة أم البنين عليها السلام

هناوي الشهرستاني



طبع في لبنان

جميع الحقوق محفوظة وسجلت

الطبعة ١٤٤٠م

الأولى ٢٠١٩م

بيروت - لبنان / بشر العبد - هاتف: ٣٤١٣٢٥٦ ٠٠٩٦١

موبايل: ٣٩٠٢٩٤٤ ٠٠٩٦١

E-mail: dar.alkari2012@gmail.com

بغداد - العراق / شارع المتنبي مدخل جديد حسن باشا

موبايل: ٧٧٢٢٩٧١٢١ ٠٧٧٢٢٩٧١٢١

دار القارئ



للطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

الإهداء

إليها وهي في عليائها

لعلّ دعاءها يشملنا في هذه الدنيا

فنكون من السعداء

ونحظى بمرافقتها يوم القيامة

فنكون من المفحين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد
 وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
 السيِّدة أمّ البنين عليها السلام من أعظم نساء هذه
 الأرض: إيماناً، وعطاءً، ووفاءً، وشجاعةً،
 وصدقاً، وإخلاصاً.
 ومن أكثرهنّ تضحيةً في سبيل الله، وتحملاً
 للمصائب، وصبراً على ألم الجراح.
 عاشت في ظل أمير المؤمنين علي بن أبي
 طالب عليه السلام، فكانت له خير زوجة ومعينة،
 في زمن تبدّلت فيه الموازين، وأصبح الناس

يرون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، حتى أصبح مثلها نادراً عند جميع النساء في التاريخ.

هذا فيما يرتبط بهذه الحياة، أمّا عند ربّها فلا يعلم مقاماتها أحد ممّن يعيش في الدنيا، ولكن بحساب القيم التي جاء بها الأنبياء والرّسل ﷺ، فلا بدّ أن تكون من العظيّمات المؤمنات الصالحات عند ربّها في الآخرة.

وهذا الكتاب مجرد إضاءة من حياة هذه القدوة الرّبانيّة، وقد استفدت فيه من كتب مختلفة، خاصّة من كتاب "سألتك عن الحسين ﷺ" للأخت رجاء محمّد بيطار.

ومن الله تعالى أستمدّ العون، وأسأله أن يجعلني مع السيّدّة أمّ البنين ﷺ في الدنيا والآخرة.
والله من وراء القصد.

هادي المدرسي

١ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ

٨/١/٢٠١٩م

من هي أمّ البنين عليهنّ السلام؟

سيّدة الإخلاص..

وسيّدة التقوى..

وسيّدة الورع..

وسيّدة التضحية..

وسيّدة الوفاء..

تلك هي أمّ البنين عليهنّ السلام.

رؤيا بالجوهرة

في منتصف الليل، وبينما كان راقداً
في خيمة له في الصحراء، رأى فيما
يرى النائم كأنه جالس على أرض
خصبة، منعزلاً عن جماعته في ناحية،
وبيده جوهرة ثمينة يقلبها، ويتمتع
برؤيتها لما فيها من حسن وجمال
ورونق.

وبينما هو كذلك وإذا به يرى
فارساً قادماً من صدر البرية، فلماً
وصل إليه ألقى عليه السلام، ثم



قال له: بكم تبيع هذه الجوهرة؟

قال الرجل: لا أعرف قيمتها، فبكم تشتريها أنت؟

قال الفارس: أنا كذلك لا أعرف قيمتها، ولكن أهدها إلى أحد العظماء، وأنا أضمن لك شيئاً، هو أعلى من الدراهم والدنانير.

قال: وما هو؟

فأجابته: «أضمن لك الزلفى عند ذلك العظيم، والشرف والسؤدد أبد الأبدين».

قال: أو تضمن لي ذلك؟!

قال الفارس: نعم.

فقال: وهل ستكون أنت الوسيط؟

قال: نعم، إن أعطيتني جوهرتك هذه أضمن لك ما قلت.

فأعطاه الجوهرة، ثم غاب عنه.

* * *

لما استيقظ في الصباح قصَّ الرَّجُل ما رآه على جماعته، وطلب منهم تأويلها.

لم يكن الرجل في السابق يهتم بالأحلام، لكن هذا الحلم بالذات أخذ منه كلَّ مأخذ، ورأى أنَّه يدلُّ على

شيء عظيم يحدث له في المستقبل.

فقال له أحد الصالحين من جماعته:

إن صدقت رؤياك، فإنك تُرزق بأنثى يخطبها منك أحد
العظماء، وتنال بسببها عنده الشرف والزلفى والسؤدد.

* * *

صاحب الرؤيا كان من فرسان العرب وأعلامها، وكان
معروفاً بالشجاعة والعطاء والحزم.
هذا الرجل هو حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر.

هي النموذج..

هي القدوة..

هي حجّة من حجج الله تعالى على النساء..

هي أمّ الشهداء الأربعة..

هي أمّ البنين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الجوهرة المتلألئة

كان من عادة حزام أن يسافر من أجل التجارة، أو الصيد، مع جماعة يستضيفهم، ويتحمّل عنهم ما يحتاجون إليه، وكانت رؤياه التي رآها قد وقعت في إحدى أسفاره وهو بعيد عن أهله، فقد ترك زوجته وهي حامل في بلدها، وقصد بلدة بعيدة، وفي الصحراء كانت رؤياه.

وحينما عاد إلى أهله، وجدها قد



وضعت حملها، ولمّا سأل عن جنس المولود قيل له إنّها أنثى، فتهلّل وجهه فرحاً وسروراً، فقد تحقّقت رؤياه في الصحراء، وقال في نفسه: «أظنّ أنّ الجوهرة التي رأيتها في منامي هي هذه البنت».

ولما سألته زوجته عن الاسم الذي يختاره لها؟

قال: سمّوها **فاطمة**.

فسألوه -كعادة العرب- عن الكنية التي يختارها لها؟

قال: كنّوها بكنية جدّتها **أمّ البنين**.

وأمّ البنين هذه الجدة هي ليلي بنت عمرو بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وكانت تُوصف بالشجاعة والصبر والنبل، وكان لها مجموعة من الأولاد ورثوا من أمّهم تلك الصفات.

فكانت مفخرة لأبنائها، وكان أفراد العائلة معروفين بأنّهم أشدّاء على الأعداء، رحماء فيما بينهم؛ فرجالهم كانوا خير رجال، ونساؤهم كنّ خير نساء، كما كنّ غاية في الجمال أيضاً، فقد اجتمعت فيهنّ الصّفات الكريمة المعنويّة والصفات الحسنة الماديّة.

ويبدو أنّ فراسة حزام كانت في محلّها، ففاطمة الصغيرة هذه كانت منذ ولادتها مثل جدّتها في كلّ صفاتها.

لقد اصطفاها الإمام عليّ عليه السلام

كان الإمام عليّ عليه السلام يبحث
عن امرأة تكون على مستوى رفيع
تناسب مع رفعته ومقامه، لتنجب
له الرجال، فالإمام عليه السلام كان يخشى
على أولاده من غير السيّدة فاطمة
الزهراء عليها السلام أن يدركهم عرق من
أمّهم إن كانت ضعيفة، فتضعف
همتهم عند المواجهة، فكان يبحث
عن المرأة الشجاعة النبيلة.
ولذلك جاء ذات يوم إلى أخيه



عقيل، الذي كان يعرف العرب وأخبارهم وأنسابهم،
وقال له:

**«يا عقيل.. انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من
العرب»^(١).**

وواضح أنّ كلمة «الفحولة» هنا تعني تلك الصفات
المطلوبة في الرجال الأشداء المدافعين عن الحق، الذين
يتمتعون بالفروسيّة، ويمتلكون صفات النبل، الرجال
الذين يوفون بالوعد، ويقفون مع الضعيف، ويواجهون
الظالم.

وحينما سأل عقيل عليّاً عليه السلام عن السبب الذي جعله
يبحث عن امرأة ولدتها الفحولة من العرب؟
قال الإمام عليه السلام:

«لأتروجها فتلد لي غلاماً فارساً..».

فالإمام قد حدّد المرأة التي يريد لها ليكون نسلها نقيّاً
طاهراً، يتمتّع بالشجاعة والنبل، حتى لا يدركهم عرق
ضعيف في مواجهة الظالمين.

فقال له عقيل: «أين أنت من فاطمة بنت حزام
الكلبيّة، فليس في العرب أشجع منها، ولا أفرس؟».
فالعائلة عرفت بالنجدة والشهامة والبسالة، وقد عرف

(١) عمده الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ٣٢٠.

منهم عامر بن الطفيل، وهو أخو «عمرة» الجدة الأولى لفاطمة، حيث كان من ألمع فرسان العرب في شدة بأسه، ودفاعه عن المستضعفين.

وقد بلغ من عظيم شهرته أن قيصرًا ملك الروم، كان إذا قدم عليه أحد من العرب يسأل عن نسبه، فإن كان بينه وبين عامر نسب ولو من بعيد، يعظم مقامه، ويكرمه، وإلا لم يكن يعتني به.

أمّا الطفيل والد عامر، فكان من أولاد أم البنين الأولى، حيث كان هو وإخوته من خيرة الفرسان، وهم ربيعة وعبيدة، وكان من حكايتهم أنهم وفدوا على النعمان بن المنذر، وكان ملكاً في قومه، فرأوا عنده الربيعة بن زياد العبسي، وكان هذا الأخير خصماً لأولاد أم البنين الأولى، فاندفع لبيد مخاطباً النعمان:

لَا تَزْجُرِ الْفَتِيَانِ عَن سُوءِ الرَّعَّةِ^(١)

يَا رَبِّ هَيْجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَّةٍ

نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَوْبَعَةَ

وَنَحْنُ خَيْرٌ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ

الْمُطْعِمُونَ الْجَفَنَةَ الْمُدْعَدَةَ^(٢)

وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَةَ^(٣)

(١) الرعة: حالة الأحمق التي رضي بها.

(٢) المدعدة: المملوءة.

(٣) الخيضة: البيضة.

يا واهبِ المَالِ الجَزِيلِ مِنْ سَعَةٍ
سُيُوفٍ حَقِّ وَجِفَانٍ مُتْرَعَةٍ
إِلَيْكَ جَاوِزَنَا بِلَادًا مُسْبِعَةً
إِذِ الْفَلَاةُ أُوحِشَتْ فِي الْمَعْمَعَةِ
يُخْبِرُكَ عَنْ هَذَا خَبِيرٌ فَاسْمَعَهُ
مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

فتأثر النعمان من شعره، وأقصى الربيعة بن زياد عن
مسامرتة، وقال:

شَرِدَ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتُ وَلَا
تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعْ عَنكَ الْأَقَاوِيلَا
قَدْ قِيلَ، إِنَّ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا، فَمَا
اعْتِذَارُكَ فِي شَيْءٍ إِذَا قِيلَا؟

وكان قبول النعمان دليلاً على المنزلة المرموقة لهؤلاء
عند العرب.

* * *

من هنا فإن عقيلاً أشار إلى أخيه الإمام علي عليه السلام أن
يتزوج فاطمة بنت حزام، فطلب الإمام من عقيل أن
يخطبها له ويطلب يدها من أهلها.

يكفيها فخرًا

يكفي في عظمة أمّ البنين عليها السلام
أنّها حليلة الإمام عليّ عليه السلام..
ورفيقة درب زينب عليها السلام..
وأمّ أبي الفضل العباس عليه السلام.

امرأة عليّ عليه السلام

مَنْ مثلها؟

وعليّ عليه السلام وجد فيها امرأة قد ولدتها الفحولة
من العرب؟

الجوهرة

أمّ البنين عليها السلام
نجمةً في سماء النبوة..
وجوهرةً في أفق الإمامة.
وعظيمة في أجواء الأمة

ذات الصفات الرفيعة

عُرفت أمّ البنين عليها السلام:
بالزهد..
والإيمان..
والتواضع..
والتضحية..

وهل هنالك صفات أعظم من هذه الصفات
الإنسانية في هذه الحياة؟

وجاء الفراس المنظور

كان عمرها في حدود ١٧ عاماً
حينما أخذ يتوافد على بيتها الخطّاب
من كلّ حدب وصوب، لكنّ أباهما
لم يرَ فيهم تلك الصفات التي
سمعتها من الفراس الذي سوف
يأتي لخطبتها، فهو كان يرى في ابنته
جوهرة متألّئة، ويتنظر لها زوجاً
عظيماً يخطبها منه.

كان بيت حزام على مسافة ثلاثة
أيام خارج المدينة، فخرج عقيل



مع جماعة من أهله حتى ورد على الرجل، فأكرم مثواه
ورحّب به ونحر له النوق، وكانت من عادة العرب
أنهم لا يسألون الضيف عن حاجته إلا بعد ثلاثة أيام
من الضيافة.

قال حزام لزوجته ثمامة، بعد نزول عقيل والوفد
الموافق عنده: ثلاثة أيام قد مضت على مكوث عقيل
ابن أبي طالب في ضيافتنا، وهو لم يفصح بعد عن سبب
قدومه إلينا.

قالت زوجته: لعله يريد النصرة؟!

قال حزام: لمن يا ثمامة؟

قالت: لأخيه أمير المؤمنين عليه السلام، ومن غيره؟!

هزّ حزام برأسه وقد ازداد حيرةً وهو يجيب:

- لست أدري يابنة العم، إن صمته يزيدني قلقاً، ولا
أظنّه قد جاء طالباً ما تقولين، فمن يطلب مثل ذلك
لا ينتظر كلّ هذا الوقت، إن في وجهه لخبراً ما!

ثمّ إنّه استأذنها في الانصراف إلى ضيفه، فتعلّقت به
تسأله عمّا ينوي فعله، فأجاب:

- إنّ الضيف لا يُسأل عن حاجته إلا بعد مرور ثلاثة
أيام على استضافته، وها قد مضت الأيام الثلاثة، ولا
مفرّ لي من سؤاله اليوم.

وافترقا.. توجه حزام إلى خيمة الضيافة للقاء عقيل،
وتوجهت ثمامة إلى خيمة ابنتها.

وما أن أطل حزام حتى هسّ له عقيل وبشّ، وظهر
على محياه خبر يوشك أن ينطلق، فرأى الفرصة سانحة
ليطرح سؤاله:

- إيه يابن عمّ الرسول ﷺ.. إن ديارنا قد تشرفت
بمكوثك بيننا، ولئن كان لنا أن نفتخر، فالفخر كلّ الفخر
في تردّدك بين ربوعنا، كيف لا، وأنت من بيت النبوة
والإمامة، قد تضمخت أعطافك بمسك محمد ﷺ
وكوثر عليّ ﷺ.

وأضاف:

- أي أخي، إن في قدومك إلينا وتشريفك ديارنا حاجة
ما، فهلاً أفصحت عمّا تريد يابن عمّ الرسول ﷺ؟!
وهل لك يا أخي حاجة فتقضى، أو ملامة فتُمضى، من
مال أو رجال أو عدد وعدة؟... فإننا نحن رهن إشارتكم.
فقال عقيل: إنّما أنت أهلّ لذلك يا أبا المحل، ولكنّي
ما لذلك أتيتك!

وأضاف: لقد جئتك يا أبا المحل بالشرف الشامخ
والمجد الباذخ.. جئتك بخير الدنيا والآخرة!

قال حزام محتبس الأنفاس، وقد تزايدت دهشته:

- وما ذاك يا بن عمّ الرسول؟

تنهّد عقيل مجيباً: لقد جئتكم خاطباً!

فقال حزام: مَنْ، ولِمَنْ؟

قال عقيل: جئتكم خاطباً ابنتك الحرّة فاطمة أمّ البنين إلى أخي، إمام المتقين وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف.

لقد كان حزام يتوقع أن تُخطب فاطمة لعظيم من العظماء، كما رأى في منامه، أمّا أن يكون هذا الرجل هو أعظم العظماء، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فذاك ما كان يصعّب عليه تصوّره!.

صمت حزام ملياً، ثمّ قال:

- إنّ ما جئتنا به يا عقيل، هو خير الدنيا والآخرة حقاً، لقد جلبت لنا الشرف الرفيع، فنحن نتشرف كلّ الشرف بهذه المصاهرة ونفتخر بها، فمن مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، حجة الله على الخلق أجمعين.. ولكن، يا بن عم الرسول، أين نحن منه؟! وأين ابنتنا من جنابه؟! فهل تليق ابنتنا لتكون خادمة في باحة قدسه؟!!

قال عقيل: إنّ أخي أمير المؤمنين يعلم كلّ ما تريد قوله ولا يخفى عليه شيء، وهو مع ذلك يرغب في مصاهرتكم، ويجب أن يتزوّج منكم، وقد رضي أن تكون ابنتكم زوجة

له، وأمّاً حنوناً لأولاده.

فقال حزام: أمهلني يا بن عمّ الرسول ﷺ لأستشير أمّها في هذا الأمر، فالأمّ كما تعلم أعرف بأحوال ابنتها من الأب، وأدرى بأخلاقها وآدابها، ولئن أشارت عليّ بالقبول، عرضتُ الأمر على ابنتي، فمن سنّة الرسول ﷺ - كما تعلم - أن تُسأل الفتاة في أمر تزويجها، لمعرفة رضاها.

* * *

خرج حزام من خيمة الضيافة وهو يريد الدخول على زوجته، وإذا به يسمع ثامة تقول لابنته فاطمة:

- أي فاطمة.. ألا تُسرّين إليّ بما يعتريك يا بنتي؟.. إنّما أنا أمّك، ولئن خالجتك خير أو شر، فليس لك سوى مشورتي فيه.

لم تتأخر فاطمة في إجابة أمّها بنبرة فيها اضطراب وذهول، فقالت:

- أمّاه.. ما كان لي أن أخفي عنك من شأني شيئاً، وما بي من سوء، فلا تقلقي! ولكنني رأيت رؤيا البارحة، وقد دخل في خلدي أنّ لها تفسيراً، فهي رؤيا عجيبة حقاً.

تريّث حزام، وحبس أنفاسه وهو يستمع لحديث ابنته، وتسمّر واقفاً في مكانه بلا حراك، ينتظر بقية الكلام.

وتابعت فاطمة:

- لقد رأيت وكأني جالسة في روضة غناء، ذات أشجار
مثمرة، وكان الوقت ليلاً، والقمر بدرًا يتلألأ في السماء،
وكانت النجوم منتشرة حول القمر.. وفيما أنا أنظر حولي،
أفكر في عظمة الله خالق السماء والأرض، وإذا بالقمر
ينقضُّ من كبد السماء ويقع في حجري، ورأيت ثلاثة
نجوم زواهر تنقضُّ من السماء نحو الأرض وتقع في
حجري أيضاً، وإذا بهاتف يهتف بي ويقول:

بشراكِ فاطمةُ بالسادةِ الغرِّ

ثلاثةُ أنجمٍ والزاهر القمرِ

أبوهم سيِّدٌ في الخلق قاطبة

بعد الرسول كذا قد جاء في الخبرِ

صمتت فاطمة لحظة، ثمَّ عادت تقول:

- أمّاه، لقد انتبهت من نومي فزعة حالما سمعت
ذلك الهاتف، فهل تعرفين لرؤيائي تأويلاً يريحني، بالله
عليك!؟

فقالت أمّها:

- بشراكِ يا فاطمة، إنّ رؤياك خير إن شاء الله، وهي
تنبئ أنّك ستصبحين زوجة لرجل له عند الله جاه عظيم،
سيِّد في قومه، مطاع في عشيرته، وترزقين منه أربعة أولاد،
أولهم أكبرهم قدراً، وأعظمهم منزلة، يكون كالقمر،

ويكون الثلاثة الباقون أمامه كالنجوم الزواهر.

لم يعد حزام يستطيع الصبر أكثر من ذلك فدخل على زوجته وابنته وقال:

- لقد تحققت رؤياك يا بنية، فهذا عقيل بن أبي طالب قد جاء يخطبك لأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام.
انفجرت أسارير ثمامة، بينما غصت فاطمة الطرف حياءً.

فقال زوجها: ولكن بما أحببت عقيلًا يا حزام؟

فقال حزام: استمهلته حتى أستشيرك، وأرى رأيك، فما ترين؟
قالت ثمامة:

- إن فاطمة - كما تعلم - يا حزام، هي بحمد الله عاقلة نبهة، وأديبة أريية، قد رأينا منها التفوق على أترابها منذ أيامها الأولى، ولقد أدبتها بأداب الإسلام، وربيتها تربية صالحة.

تهلل وجه حزام أكثر، ودار بنظره حوله، كأنه يريد أن يسأل فاطمة رأيها.

هرعت ثمامة خلف ابنتها، لتجدها تجلس في ركن خيمتها ذاهلة فقالت لها:

- إيه فاطمة!.. أما يسرك أن يخطبك سيّد الأوصياء عليه السلام؟

رفعت فاطمة إلى أمهاً وجهاً مشرقاً غسلته بفيض
عينها، وتماكنت نفسها لتسطيع أن تردّ قائلة:

- أمّاه.. إن ما يخالجنني، هو فوق السرور.

فقال أمها: إذن هل أنت موافقة؟

صمتت فاطمة، وطأطأت رأسها حياءً، واختنق
صوتها، فقرأت أمها في صمتها علامة الرضا، فضمّتها إلى
صدرها بشدّة وقبلتها، ثمّ أفلتها، وقد غمرتها الفرحة،
لتعود إلى والدها فتزف إليه الخبر.

* * *

عاد حزام إلى عقيل، متهللاً مستبشراً أكثر من ذي
قبل، فسأله عقيل:

- ما وراءك يا أبا المحل؟

فأجابه حزام:

كلّ الخير يا بن عمّ رسول الله ﷺ، لقد رضينا أن
تكون ابنتنا زوجة لأخيك ابن عمّ النبي ﷺ ووصيه.

فقال عقيل: ولكن، لا بدّ للمرأة من صداق، فما ترى

يا أبا المحل؟

طأطأ حزام برأسه خجلاً وهو يجيب:

- الرأي رأيك يا بن عمّ الرسول ﷺ، والأمر في ذلك

إليكم فنحن لا نبغي سوى رضاكم.

فقال عقيل: إن أهل بيت رسول الله ﷺ لا يتجاوزون في صداق بناتهم ونسائهم ما سنّه رسول الله ﷺ، وهو خمسمائة درهم، وهو مهر الزهراء ع.

فقال حزام: روعي فداء للزهراء ع وأبيها، ونحن لا نرضى إلا بما سنّه لنا رسول الله ﷺ ولا نتجاوزّه، لقد رضينا وسلّمنا.

قام حزام وجاء من جديد إلى زوجته وابنته ليخبرهما الخبر، وقال لها:

- لقد رضي عقيل بن أبي طالب ابنتنا فاطمة زوجة لأخيه أمير المؤمنين ع على مهر السنّة، مهر فاطمة الزهراء ع، وهو خمسمائة درهم.

سجدت ثمامة شكراً لله على هذه النعمة، ثمّ انقلبت إلى ابنتها تقبلها وتهنئها، وتوصيها.

* * *

انتشر خبر خطبة فاطمة من قبل الإمام علي ع في عشيرة بني كلاب انتشار النور في الليل البهيم، ويّم أشراف القبيلة وجوههم شطر منزل حزام، بعد ما دعاهم ليحضروا مجلس الخطبة.

كان الكلّ مستبشراً، ولعلّ فيهم من غبط حزاماً على

هذه النعمة: أن يصاهره سيّد بني هاشم، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان كلّهم يعلم أنّ حزاماً وابنته جديران بهذه المكرمة، وهي فخر لبني كلاب جميعاً.

وذهب لوم اللائمين أدراج الرياح، فقد أدركوا أنّ حزاماً لم يخطئ بصبره وانتظاره، ورفضه زواج ابنته ممّن خطبها منهم، وأنّ الله قد جزاه خير الجزاء، بأن جعل قرين ابنته سيّد الأوصياء عليه السلام.

* * *

لما التأم الجمع، انعقد مجلس الخطبة، وقد راح بنو كلاب وبنو عامر، عشيرة حزام، يهنئ بعضهم بعضاً بالكلمة والنظرة، ولما اكتملوا وهم سكوت، قام عقيل ابن أبي طالب فيهم خطيباً فقال:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنام محمّد وآله الكرام.

أمّا بعد، فاعلموا يا بني كلاب، ويا بني عامر بن صعصعة، أنّ الله قد منّ علينا إذ بعث فينا رسولاً من أنفسنا محمّداً عليه السلام، فجاءنا بدين الله القويم الذي ارتضاه الله لنا، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ..﴾^(١) ويقول

(١) سورة آل عمران، الآية ١٩.

أيضاً: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ..﴾ (١).
 وأمرنا بنبذ البغضاء والشحناء، وأوجب علينا التعارف
 وصلة الأرحام، إذ يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا
 خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
 أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

وحرّم علينا الزنا والسفاح، وأحلّ لنا الزواج
 والنكاح، إذ يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ
 أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

وقال رسول الله ﷺ:

«تَنَاقَحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ» (٤).

وهذا وصي رسول الله ﷺ، وابن عمّ نبيكم، أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ،
 قد أحبّ مصاهر تكم، وخطب إليكم كريمتكم فاطمة

(١) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣) سورة الروم، الآية ٢١.

(٤) عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ١، ص: ٢٥٩.

أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة، على كتاب الله
وسنة رسوله ﷺ.

وقد ذكر القرآن قائلاً: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ثم جلس.

فقام حزام فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي وصلى
عليه، ثم التفت إلى قومه قائلاً:

«يا قوم، قد سمعتم ما قاله ابن عم رسول الله ﷺ
من ذكر نبينا ودين الإسلام القويم، وإني أشهدكم وأشهد
الله أنني أدين بدين هذا النبي الكريم، وأطيعه فيما نهاني عنه
وما أمرني به، وإني قد ارتضيت علي بن أبي طالب عليه السلام
لابنتي بعلاً، وارتضيت ابنتي له سكناً، وبما أنكم عشيرتي
وقومي أطلعتكم على هذا الأمر، فماذا تقولون؟».

فأشار القوم إلى أحدهم ليمثلهم في التعليق على
الخطبتين، وكانت هذه من عاداتهم، فقام أكبرهم سنّاً،
وقال:

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

«يا حزام، ما تريدنا أن نقول في ابن عمّ رسول الله ﷺ وناصر دين الله، ومَن لنا بأكرم منه حسباً أو بمثله نسباً، فلنا الشرف والمجد والسؤدد، ولنا الشرف في قربه منّا، وانتسابنا إليه، فنعماً صنعت يا حزام، وخير ما رأيت».

وهكذا تمّ العقد على فاطمة بنت حزام الكلابية بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَةُ

مع أمّ البنين عَلَيْهَا السَّلَامُ
أنت مع عظيمة من عظماء الدنيا..
وسَيِّدَة من سَيِّدَات الآخرة.
تحملت آلام الصِّدِّيقين..
وقدّمت أولادها في سبيل الله، قرابين..
فجعلها الله تبارك وتعالى باباً من أبواب
رحمته..
وطريقاً إلى جنّته.
ووسيلة لقضاء حوائج المؤمنين..

قدوم العروس الكريمة

وبعد أن تَمَّت الخطبة، قامت أمّ فاطمة بما يلزم في تهيئة ابنتها لرفها إلى عليّ عليه السلام، وكان أهلها - كما ذكرنا - بعيدين عن المدينة المنورة، وكان عليهم أن يقطعوا ثلاثة أيام في الطريق إلى هناك، فهيّئوا خمسة هودج مزينة بأنواع الزينة، كما هو المطلوب في زفاف العروس، وغشّوها بما يلزم من الحجاب، وركب عشرة فوارس من قومها يحفّون بالهودج،



وكانوا مسلحين بالسيوف الهندية، وجاؤوا بابنة حزام إلى
المدينة.

أمّا من قبل الإمام عليّ عليه السلام فقد خرج بنو هاشم رجالاً
ونساءً لاستقبالهم، وأكرمهم غاية الإكرام، واستضافوهم
لمدة ثلاثة أيام.

وبذلك تمّ قران أمّ البنين عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام بلا
إسراف في البذل، وبلا تقتير في العطاء، بل بالالتزام التام
بحدود الله في هذا المجال، وكان نموذجاً للزواج الموفق في
التاريخ.

لا تسمّني فاطمة

بعد انتقال السيّدة فاطمة
الكلابيّة عليها السلام إلى بيت أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب عليه السلام ودخولها
في دار الإمامة، في ظلّ سيّد الخلق
بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بدأت صفاتها
النيّلة بالظهور واحدة تلو الأخرى،
فبداية طلبت من الإمام عليه السلام أن لا
يذكرها باسمها فاطمة، وإنّما بكنيتها
أمّ البنين، وحينما سألتها الإمام عليه السلام
عن السبب؟



قالت:

«حتى لا يتذكّر أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام أمهم الراحلة
عنهم في ريعان شبابها».

كما أنّها شعرت بأنّ من واجبها أن تكون بديلة عن
الزهراء عليها السلام في العطف على أولادها، وفي الاهتمام بهم،
بالرغم من أنّها لم تكن أكبر منهم سنّاً، بل كانت بعمر
السيدة زينب عليها السلام، ولكنّها لم تكن تتصرّف معهم كأمّ
فحسب، بل كانت تتصرّف معهم كخادمة لهم أيضاً.

* * *

ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام وجدها خير وعاء يضع فيه
العلم والمعرفة، وهكذا فقد قام - وهو أديب رسول
الله صلى الله عليه وآله، والذي بدوره كان أديب الله تعالى - قام بتعليمها
وتربيتها، ومن جانبها وفّرت أمّ البنين عليها السلام لنفسها حظوة
أن يقوم وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأديبه بتعليمها، فكانت تطيعه
في كلّ ما يقول، وتؤدي واجباتها في كلّ ما تفعل، فلم
يكن أمير المؤمنين عليه السلام زوجها فحسب، بل كان ملهمها،
ومصباح حياتها، ومعلّمها، وقائدها، وسيدّها، وشرف
دنياها وآخرتها كذلك.

* * *

وكما كان يرجو الإمام عليّ عليه السلام من زواجه هذا أن

يُرزق بنين يحملون صفاته الكريمة، وصفات أمهم النبيلة، فقد رزقهما الله بأربعة أولاد هم: العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد كُنِّي بأبي الفضل، وعبد الله على اسم والد النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعفر على اسم جعفر بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعثمان على اسم عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وبالفعل فقد حمل هؤلاء الأولاد، كما يذكر التاريخ، الصفات التي تمتع بها أبوهم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشجاعة والكرم والبسالة والنبيل والعطاء والإيمان والتقوى، كما حملوا صفات أمهم وفضلها في مختلف المجالات.

تزوَّجت أمّ البنين عليها السلام من الإمام عليّ عليه السلام يوم كانوا
قد فرضوا عليه الإقامة الجبريّة ..
ثمّ أصبح زوجها حاكماً على أكثر من نصف الكرة
الأرضيّة ..
فلم تتغيّر عمّا كانت عليه ..
ولم تطلب منه شيئاً من حطام الدنيا،
وزخرفها، وزبرجها.

مسيرة العطاء في بيت الوصيِّ عليه السلام

قد يسأل البعض:

أين موقع أم البنين عليها السلام في عالم
القيم؟

وبماذا كانت تتميز عن غيرها من
النساء الصالحات؟

ولماذا كان لها هذا المقام الرفيع في
التاريخ؟

الجواب: لقد تميّزت أم البنين عليها
السلام بأمور:

الأول: معرفة الله عزّ وجلّ ومعرفة



أولياؤه، فقد عرفت زوجها الإمام علي عليه السلام حجةً لله على الناس، وأميناً لله في أرضه، كما عرفت مقام السيدة الزهراء عليها السلام وأولادها عليهم السلام، ولذلك فإن تعاملها معهم كان تعامل العارفة بجوهر الدين، وكانت مواقفها منطلقة من الإيمان بالولاية.

من هنا فإن أولاد فاطمة عليها السلام كانوا يشعرون معها بدفء الأمومة من جديد، وذلك من خلال تصرفاتها الحنونة معهم، فقد كانت تخدمهم وترعاهم، أكثر مما تفعل الأم العادية مع أبنائها.

وفي الحقيقة فإن المعرفة هي التي تغير طبائع الناس وتميز تصرفاتهم، فمن ينظر إلى أحد كصديق يختلف عن الذي ينظر إلى أحد كولي من أولياء الله عز وجل، فالمرأة التي تنظر إلى زوجها كزوج فحسب، تختلف عن التي تتصرف مع زوجها، وهي تعرف أنه ولي عظيم من أولياء الله تعالى.

لقد تحققت رؤيا أبيها، كما تحققت رؤياها الصادقة، فقد دخلت بيت عظيم من عظماء الدنيا والآخرة، دخلت في بيت أبي الحسن علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يدخل الجنة أحد إلا بصك منه، دخلت بيت أخي رسول الله ﷺ وحامل رايته في الدنيا والآخرة، وساقى حوض الكوثر في يوم القيامة.

ولقد كانت المعرفة رائدة هذه المرأة في كل مراحل حياتها: عرفت الحق فوقفت معه، وعرفت الإمام فاتبعته، وعرفت مسؤولياتها فتحملتها.

وقد بدأت معرفتها من معرفة ربها، ومن خلال ذلك عرفت نبيّه، ثم عرفت حجّته، والتزمت به التزاماً واقعياً عملياً في كل مواقفها.

الثاني: تمتعت أمّ البنين عليها السلام بالقناعة والوفاء والتواضع، فقد ألغت وجود نفسها تقريباً في بيت الإمام عليه السلام. وكانت تمارس التضحية في كل لحظة من لحظات حياتها، فقد دخلت في بيت أزهّد الزاهدين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن بيته بيت رفاهية، بل كان بيت الزهد، ولم يكن بيت الملذات، بل كان بيت طاعة الله عزّ وجلّ، فلا بحث في بيت الزوجيّة عن قوارير العطور، ووسائل الزينة، وملابس الحفلات، بل عن لباس التقوى، وزينة الطاعة، وعطر المحبّة.

الثالث: أنّها تميّزت بالوفاء، ومن ذلك وفاؤها لأمر المؤمنين عليهم السلام فهي لم تتزوج أحداً بعد شهادته، بالرغم من توالي الطلبات عليها للزواج، لكنّها بقيت مخلصة للإمام، وكأَنَّها كانت ترى أنّ مقام الإمام كمقام رسول الله صلى الله عليه وآله، واحتراماً للإمام عليه السلام لم تتزوج أحداً بعده.

ومن وفائها للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها أدّت

مسؤولياتها كاملة تجاه أولادها، خدمةً، واحتراماً،
وتقديراً، وعطاءً.

الرابع: أُمّها تميّزت بالتحمّل، فقد تزوجت رجلاً كان
يشدّد على أهله ليرفّه عن الناس، ويضيّق على نفسه وأهله
ليوسّع على الناس، ومع أُمّها عاشت في بيت أبيها في رفاهية
من العيش ورغد من الحياة، إذ كانت من قبيلة تملك الكثير
من أموال الدنيا، أمّا في بيت أمير المؤمنين عليه السلام فهي لم
تطلب منه شيئاً يختص بدنياها.

* * *

لقد ارتبط اسمها باسم الإمام عليّ عليه السلام وامتزجت
روحها مع روحه، وزهدت معه في حياتها، سواءً فيما
يرتبط بأمورها الشخصية، أو فيما يرتبط بأمورها العائليّة
والاجتماعيّة.

فِي بَيْتِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَلَّقَتْ السَّيِّدَةُ أُمَّ الْبَنِيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَالِيَاً فِي بَيْتِ الْإِمَامِ
عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَعْظَمِ زَوْجَاتِهِ، بَعْدَ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ
فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

قِصَّةُ الْخُلُودِ

ارْتَبَطَ اسْمُهَا بِاسْمِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَاسْمِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ
وَاسْمِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
وَاسْمِ زَيْنَبَ عَلَيْهَا السَّلَامُ
فَأَصْبَحَتْ خَالِدَةً، خُلُودَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِيْنَ.

أصبحت منهم

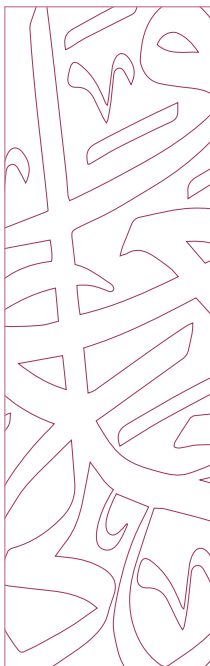
كَأَنَّ كُلَّ رَجُلٍ يَلْتَصِقُ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَيَطِيعُ
اللَّهَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ، يَصْبِحُ مِنْهُمْ.
وَكأَنَّ كُلَّ امْرَأَةٍ تَلْتَصِقُ بِهِمْ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ، تَصْبِحُ مِنْهُمْ.
إِنَّ أُمَّ الْبَنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَخَلَّقتْ بِأَخْلَاقِهِمْ فَأَصْبَحَتْ
مِنْهُمْ.

أُمَّة

أُمَّ الْبَنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَوْحَدِهَا أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا.

بخلقها تشبّهت بأهل البيت عليهم السلام

لقد تصرّفت السيّدة أم البنين عليها السلام -
من خلال التزاماتها الدينيّة
وصفتها الأخلاقيّة- وكأّتها واحدة
من أهل البيت عليهم السلام فلم تختلف
عنهم؛ فقد كان زهدها يشبه زهد
أهل البيت عليهم السلام، وإيمانها كان يشبه
إيمان أهل البيت عليهم السلام، وصدقها
كان يشبه صدق أهل البيت عليهم السلام،
وإخلاصها كان يشبه إخلاص أهل
البيت عليهم السلام، وشجاعتها كانت تشبه



شجاعة أهل البيت عليهم السلام.

ووقفت مع الإمام عليه السلام في الضراء قبل السراء، فقد تزوجت الإمام عليه السلام - كما قلت - عندما كان محاصراً من قبل الذين منعه حقه، وحتى حينما بويع بالخلافة وأصبح خليفة للمسلمين فإن أهل المروق والشقاق والنفاق والقاسطين عن أمر الله شنوا على أمير المؤمنين عليه السلام الحروب والغارات، فالتزمت أم البنين عليها السلام بشخصه ومنهجه، وكأتمها تستذكر ما ذكره النبي صلى الله عليه وآله لعمار رضي الله عنه حينما قال له:

«..فَإِنْ سَلَكَ النَّاسُ كُلَّهُمْ وَاذِيًا وَسَلَكَ عَلِيٌّ وَاذِيًا

فَاسْلُكْ وَاذِيَّ عَلِيٍّ وَخَلِّ عَنِ النَّاسِ.

يَا عَمَّارُ إِنَّ عَلِيًّا لَا يَرُدُّكَ عَنْ هُدًى، وَلَا يَرُدُّكَ إِلَى رَدًى،

يَا عَمَّارُ طَاعَةٌ عَلِيٍّ طَاعَتِي، وَطَاعَتِي طَاعَةٌ

اللَّهِ» (١).

فسلكت مع الإمام علي عليه السلام واديه، وتركت الناس يسلكون وادٍ آخر.

لقد ارتبطت بالإمام عليه السلام، ودخلت بيته حينما كان الإمام علي عليه السلام وحده.

ومع أنها كانت ابنة قوم أعزاء أغنياء مع ذلك جاءت

(١) بحار الأنوار، ج ٢٨؛ ص ٦٨

إلى بيت متواضع لا يختلف كثيراً عن كوخ، ولكن يسوده الإيثار والزهد والتقوى، إضافة إلى أنه كان بيتاً يُحاط بأحقاد المنافقين، ومؤامرات الفاسقين.

* * *

وتمتعت السيّدة أمّ البنين أيضاً بالتواضع، ومن هنا فإنّها لم تتحدّث عن نفسها وعن مناقبها أبداً، على خلاف بعض النساء، حيث كنّ يذكرن أحاديث في مدح أنفسهن، بل هناك من نساء النبي ﷺ من اختلقت أحاديث على لسانه ﷺ في مدح نفسها، أمّا أمّ البنين ؓ فقد كانت مخلصّة في كلّ أمورها، صادقة مع نفسها، زاهدة في دنياها.

* * *

ولقد عرفت أمّ البنين ؓ بأنّها لم تكن تغار من غيرها، فكانت أفضل من بعض نساء النبي ﷺ، فبالمقارنة مع عائشة زوجة رسول الله ﷺ والتي أخذتها الغيرة بالنسبة إلى خديجة ؓ بعد رحيلها عن هذه الدنيا، فلم تكن تطيق أن تسمع من النبي ﷺ اسم خديجة ؓ، حتى قالت له: «إِنَّكَ لَا تَفْتَأُ تَذْكُرُ خَدِيجَةَ، وَقَدْ عَوَّضَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا».

فأسمعها النبي ﷺ كلاماً قاسياً، حيث قال لها:

«مَا أَبَدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا؛ صَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ،

وَوَاسْتُنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ الْوَلَدَ
مِنْهَا وَلَمْ يَزُفْنِي مِنْ غَيْرِهَا»^(١).

أمّا أمّ البنين عليها السلام فإنّها ألغت اسمها، لكي لا يُسمع في
بيتها إلا اسم فاطمة الزهراء عليها السلام. وكانت تحبّ أن تسمع
أحاديث في مدح فاطمة عليها السلام وأن تذكرها لغيرها.
كانت تعرف مقام الزهراء عليها السلام، فلم تأخذها الغيرة
أبدًا، بل بالعكس كانت تغار على فاطمة عليها السلام وليس
من فاطمة عليها السلام.

(١) الإفصاح في الإمامة، ص: ٢١٧. مسند أحمد بن حنبل ج ٦، ص ١١٧ عن شيخه
عليّ بن إسحاق، عن ابن المبارك؛ سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ١١٧. كنز العمال
ج ١٢، ص ١٣٢.

الأميرة المضحية

قدّمت أمّ البنين عليها السلام أولادها الأربعة شهداء مع الحسين عليه السلام مرّة واحدة، ولم تحتفظ حتّى بواحد منهم لنفسها..

إنّها التضحية في أجلى صورها..

أمّ البطولات

أمّ البنين عليها السلام هي:

أمّ البطولات النادرة..

والشجاعات الفاتقة..

والمصيبات الراقية.

الثمرة

من الثمرة تُعرف الشجرة..

ومن العباس عليه السلام تُعرف أمّ البنين عليها السلام.

أقمار للتقرب إلى الله

أربعة أقمار في سماء الإمامة، قدّمتهم السيّدة أمّ البنين عليها السلام قرابين دفاعاً عن ذوي القربى، للدفاع بهم عن الحسين عليه السلام، وتقرّبت بدمائهم إلى بارئها.

الرجولة في قلب امرأة

تمتّلت الرجولة بكلّ معانيها في قلب امرأة، فكانت أمّ البنين عليها السلام.

أمّ البسالة

هي أمّ الشجاعة، والشهامة، والشهادة، والبسالة، والبطولة.

كربلاء منتهى التضحية والإيثار

اتّصفت أمّ البنين عليها السلام بصفة
التضحية، وتجلّى ذلك - كما قلت -
في خدمة أولاد السيّدة الزهراء عليها السلام
بأفضل ما كان، فهم فقدوا أمّهم في
الصغر، حين كانوا بحاجة إليها وإلى
رعايتها، وعوّضتهم أمّ البنين عليها السلام في
الكبر أفضل تعويض.

وقدّمت أولادها الأربعة شهداء
في سبيل الله مرّة واحدة، وهم الذين
كانوا «نجوم الأرض من آل عبد



المطلب»^(١)

لقد كان بإمكانها أن تطلب من أحدهم على الأقل أن يبقى معها في المدينة، وهي في سنوات كهولتها وحاجتها، ولكنها أرسلتهم جميعاً إلى مذبحهم في كربلاء دفاعاً عن الحسين عليه السلام، ولذلك فعندما جاؤوها بخبر ما حدث في عاشوراء، لم تسأل إلا عن الحسين عليه السلام، فلم تسأل عن أولادها وأفلاذ كبدها.

وربما لو جاؤوها بخبر مقتل أولادها دفاعاً عن سبط رسول الله ﷺ وبقاء الحسين عليه السلام حياً، لم تكن تبكي عليهم، فقد كان الحسين عليه السلام محور حياتها، لأنها كانت تؤمن به كحجة لله على خلقه، وأمينه في أرضه، وحينما أخبرها الناعي بمقتل أولادها قالت:

«إني سألتك عن الحسين!».

وتحمّلت أمّ البنين عليها السلام المصائب بصبر عظيم، بحيث لا يقارن صبرها إلا بصبر السيدة زينب عليها السلام، فقد تعرّضت لكل ما يمكن أن تعرّض له امرأة من المصائب، ما عدا القتل في سبيل الله الذي وضع عن النساء، فقد فُجعت بأمر المؤمنين عليهم السلام شهيداً في محراب عبادته، ثم فُجعت

(١) قالت السيدة زينب عليها السلام في خطبتها أمام يزيد بن معاوية: ..قد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بأهراقك دماء ذرية رسول الله ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب... لاحظ: بلاغات النساء: ٣٥.

بوالديها ووفاتهما وهي بعيدة عنهما، وفُجعت بالإمام
 الحسن عليه السلام، وفُجعت بمقتل أهل البيت عليهم السلام في كربلاء،
 وبمقتل أولادها الأربعة معهم، وتحملت في ذلك غصصاً
 عظيمة، شاكراً لربّها الذي لا يُحمد على مكروهه سواه.

قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كَانَتْ أُمَّ الْبَيْنِ تَخْرُجُ إِلَى الْبُقْعِ فَتَنْدُبُ بَنِيهَا أَشْجَى
نُدْبَةً وَأَحْرَقَهَا، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهَا فَيَسْتَمْعُونَ مِنْهَا
وَكَانَ مَرْوَانَ يَجِيءُ فِي مَنْ يَجِيءُ لِدَلِكِ
فَلَا يَزَالُ يَسْمَعُ نُدْبَتَهَا وَيَبْكِي.

السيدة المضحية تتحمل الآلام

كعادة أولياء الله كانت السيدة
أم البنين عليها السلام ترى أن حياتها ملك
الله تعالى، وأن التضحية في سبيل الله
أفضل الأعمال للرجال وللنساء،
هكذا تربت، وهكذا ربّت أولادها.

كانت تؤمن بأن التضحية في
سبيل الله تعالى وفي سبيل نصرة دينه
أمرٌ واجب عليها وعلى أولادها،
وأنه يجب أن تتحمل في سبيل ذلك
كلّ المصاعب والآلام.



لقد قدّمت أولادها مع الإمام الحسين عليه السلام وبقيت
هي في المدينة المنورة مع حرّمهم وصغارهم، تنتظر ما
يأتي من الأخبار عنهم.

لقد جسّدت حبّها لأهل البيت عليهم السلام في تضحياتها، كما
أنّها بتقديمها أولادها جسّدت الحديث النبوي الشريف:

«فَوْقَ كُلِّ بَرٍّ بَرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ»^(١).

فكانت بارةً للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام بكلّ ما
للكملة من معنى.

* * *

بعد عاشوراء ..

لا شيء كان يستطيع أن يترجم ما كانت عليه السيّدة أمّ
البنين عليها السلام من ألم الانتظار..

لا شيء كان يمكن أن يصف حالها، فالكلام مهما بلغت
بلاغته لا يمكنه أن يعبر عمّا كانت عليه أمّ البنين عليها السلام في
تلك الأيام..

لا شيء.. سوى أنّها غرقت في عميق من الآلام!

* * *

(١) الحصال، ج ١، ص: ٩.

أربعون يوماً وأكثر، مضت والمدينة غارقة في الظلام..

أربعون يوماً وأكثر والتيه يغشى فؤادها واللوعة تعصرها، حتى غدت لا تقوى على ضخ الدماء في جسدها النحيل لمتابعة الأخبار.

أربعون يوماً والدموع تجري، والألسنة تلهج بالسؤال، وتحاول أن تعرف ما الذي جرى لقافلة أهل البيت عليهم السلام، وقد وصلت أخبار متضاربة عن الحسين عليه السلام؛ أحقاً قد قُتل سيّد شباب أهل الجنّة؟!

أيعقل أن يقتلوا ريحانة النبي صلى الله عليه وآله، ويسفكوا دمه، ويستبيحوا حرمة؟!

وبقي جلّ أهل المدينة في شك من الخبر، حائرين ومذهولين، ورغم أنّ السماء أمطرت دماً، وكان ذلك شاهداً على الواقعة، ورغم أنّ والي المدينة عمر بن سعيد بن العاص قد أعلن خبر قتل الحسين عليه السلام، من على منبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله شامتاً مفتخراً، بعد ما بلغه الخبر عبر شخص أنفذه إليه ابن زياد، إلا أنّ الخبر كان فظيماً لا يتحمّله عقل، ولذا، فقد رفض الكثيرون تصديقه، حتى يتأكدوا منه.

وبعد أربعين يوماً من الانتظار، وأمّ البنين عليها السلام تتقلّب على الغضى، كانت تستقبل الغسق بألم الانتظار كما تستقبل الشروق به، وتنظر إلى الفجر بنفس العين التي

تنظر بها إلى الغروب، كانت الأزمنة قد تساوت عندها، وكذلك الأمكنة والدروب، لم يعد يعينها الخروج إلى تلك الدروب الخزينة، كان كل ما تفعله هو النظر في الأفق البعيد، عساها تلمح اللوحة المخضبة بالدم في أفق السماء. توالى الصور في ذاكرتها، ومرّ طيف الزمن بكل ما فيه من أحداث وأحزان، فتذكرت فيما تذكرت كيف أتاه قبل سنين خبر معركة الجمل، وحملت النصور والجوارح أطراف المقاتلين، ونثرها فوق الرمال ذات الشمال وذات اليمين، وإيها لترتعش الآن إذ تتذكر، وتساءل نفسها وتتحير، هل في نفسها رغبة في أن تتأكد أكثر من ذلك من حدوث الواقعة؟

تري، ما الذي كانت تبغيه لتتأكد مما حدث في كربلاء؟

هل كانت تريد أن ترى بأم العين نسورا تحمل أطراف الشهداء من جديد، فتبعثرها فوق الصعيد؟!

أم لعلها كانت تبغي أن تنظر إلى كفي العباس عليه السلام اللتين قبلهما أمير المؤمنين عليه السلام، أن تراهما محمولتين في مخلبي نسر يخلق بهما في السماء، ويرفعهما رايتين على رؤوس الملاء؟

على كل حال فإنّ روحها لم تسكن، ونفسها لم تطمئن إلى شيء، إلا حين ارتفع في المدينة صوت ناعي الحسين عليه السلام بشر بن حذلم وهو يولول قائلاً:

يَا أَهْلَ يَثْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ بِهَا
 قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَدْمَعِي مِدْرَأُ
 الْجِسْمُ مِنْهُ بِكَزْبَلَاءَ مُضَرَّجٍ
 وَالرَّأْسُ مِنْهُ عَلَى الْقَنَاةِ يُدَارُ

لم تسمع أمّ البنين عليها السلام الصوت بمسامعها، بل بروحها، ولم تسع إلى مصدر الصوت وحدها، وإنما أغلب أهل المدينة تدافعوا نحو بشر بن حذلم.

وعندما وصلت قرب مرقد النبي صلى الله عليه وآله كان العويل يتردد من كلّ حذب وصوب، وكأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يطل على الجموع، ويسكب دموعه على الجميع، أجل لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يبكي وكذلك بضعته البتول عليها السلام، وكذلك وصيّهُ أبو الحسنين وسبطه الحسن عليه السلام.. كانت السماء حمراء مكتظة بالملائكة وبأهل السماء، يرفعون الأصوات بالبكاء، ويحتشدون لمواساة أهل البيت عليهم السلام بمقتل سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

أقبلت أمّ البنين عليها السلام نحو صاحب الصوت، والناس كانوا يتناوشون الشاعر بالسؤال.

لم يكن بمقدور أمّ البنين عليها السلام أن تصل إليه، فالزحام شديد والخبر ثقيل، إلا أنّ شيئاً ما في هيئتها ومشيتها، وجلالها، ونظراتها المتلهفة جعل بشر بن حذلم يترك كلّ

الناس، ويلتفت إليها.

كان عبيد الله بن العباس عليه السلام حفيدها متعلقاً بها، وهي توجه السؤال مجروحاً مذبحاً مع البكاء، إلى الشاعر:

- أيها الناعي، هل لك علم بولدي الحسين عليه السلام؟! -

التفت الشاعر إليها مستغرباً، فمن هي صاحبة السؤال؟

ف قيل له إنها أمّ البنين عليها السلام. فقال لها:

- سيدي، عظم الله لك الأجر بولدك عبدالله!
تراخت قبضتها قليلاً عن عبيد الله، وهتفت بملء
روحها قائلة:

- فداءً للحسين.. سألتك عن سيدي الحسين عليه السلام!

فقال الرجل:

- يا أمّ البنين، عظم الله لك الأجر بولدك عثمان!
لم تتغيّر نظرتها إلا قليلاً، وتراخت قبضتها عن الطفل
أكثر فقالت:

- فداءً للحسين..

ما سألتك إلا عن مولاي الحسين عليه السلام!

قال بشر:

- يا أمّ البنين، عظم الله لك الأجر بولدك جعفر!

ازداد الحزن عمقاً، ولكنها عادت تردّد:

- قلت لك فداءً للحسين عليه السلام..

إنّما سألتك عن سيّدي ومولاي الحسين عليه السلام!

قال بشر:

- سيّدي يا أمّ البنين، عظم الله لك الأجر بولدك
العباس!

تلوّت أمّ البنين عليها السلام، وتراخت يداها عن حفيدها،
وانصدع قلبها. وفاضت مقتلها، وتهاوى الطفل فلم
تستطع أن تحتويه، وأنّت أنّه طويلة وهي تقول:

- يا هذا.. قطعت نياط قلبي..

أولادي، ومن فوق الأرض، فداءً للحسين عليه السلام، أنا لم

أسألك عن أولادي إنّما سألتك عن الحسين عليه السلام!

عندها، لم يجد بشر بداً من القول بقلب مقروح:

- سيّدي عظم الله لك الأجر بولدك الحسين عليه السلام!

فرفعت صوتها المبحوح صارخة:

- وا ولداه، وا حسينا.. وا مهجة قلباه!

ثمّ خرت في مكانها مغمى عليها..

لم تدم غشيتها، لعل أمراً ما أيقظها، أو أنه كان نتيجة
رذاذ الماء الذي راحت تصبّه النساء فوق وجهها، وانبعث
في عميق وعيها ووجدانها السؤال مفعجاً مهولاً:

- أين زينب؟... أين حبيتي زينب؟!

وقبل أن تطرح السؤال، كان بشر يلتفت إلى الناس
ليقول لهم:

- أيها الناس، هذا مولاكم علي بن الحسين زين
العابدين عليه السلام نازل خارج المدينة، مع عيال مولانا أبي
عبدالله عليه السلام ونسائه فهلمّوا إليه!

فهتف الناس:

- هلمّوا إليه!

أمّا أمّ البنين عليها السلام فهي لم تدر كيف قامت، ولعلّها
كانت تحترق صفوف الساعين، فقد كانت تقذفها رياح
الحنين، إلى ذلك الركب المتكول، إلى حبيتها وفلذة قلبها،
زينب الحوراء بنت أمير المؤمنين عليها السلام.

ولما وصلت، وجدت الفسطاط منصوباً، وجارية قائمة
عند الباب تمنع النساء الواهات من الدخول قائلة:

- أوصتني مولاتي زينب عليها السلام، أن لا أسمح بالدخول
إلا لشريكاتها في المصاب!

فقال لها أمّ البنين عليها السلام:

- أخبرني مولاتي زينب عليها السلام أنني أم البنين!

وأتى الصوت من الداخل متحشراً مبوحاً كما لم يكن قط:

- إنها والله شريكنا في المصاب.. آه يا أم البنين!

ودخلت الخيمة مهرولة مدهوشة، لكن عيناها لم تصدق أن تلك المرأة النحيلة الشاحبة ذات الوجه المكدود، والقسمات المتعبة، والشعر الأشيب هي زينب عليها السلام التي لم تتجاوز الخامسة والأربعين من العمر، وصرخت أم البنين وهي تعانقها:

- وأولاده.. وأحسيناه!

فصرخت زينب عليها السلام:

- وأأخاه.. وأعباساه!

فتعانقتا وبكتا طويلاً، وحنّت وأنت، وهي تلهج وتقول:

- أمّاه.. أي وأماه!

وكأني بهما وقد سارتا جنباً إلى جنب، حتى وصلت إلى المجلس، فتهاتوت أم البنين عليها السلام على الأرض، فقالت لها زينب عليها السلام:

- أنت في القلب يا أمّاه، فقد ربّيتِ ورعيتِ،
وواسيتِ وضحيتِ، كفاك بالعباس فخراً يا أمّ البنين،
فقد واسى وضحّى، وأبلى أحسن البلاء بين يدي
أخيه الحسين عليه السلام.

فأخذت أمّ البنين عليها السلام تسأل عن أولادها واحداً بعد
واحد، حتى وصلت للعباس عليه السلام فسألت عن وفائه؟
فأجهشت زينب عليها السلام بالبكاء قبل أن تقول:

أعن العباس تسألين؟! .. إيه يا أمّ البنين، لعمري ما
واسى أحداً الحسين عليه السلام كما واساه العباس عليه السلام، فقد
قطعوا منه اليدين، وأصابوا بالسهم عينه..

إيه يا أمّ البنين، لقد سقانا أبو الفضل عليه السلام مرّتين، قبل
أن يمضي في المرة الثالثة، فقد طلب الأذن بالجهاد، فأرخصي
الحسين عليه السلام عينه بالدموع وقال له:

«أَنْتِ صَاحِبُ لِيْوَائِي، وَإِذَا مَضَيْتِ تَفَرَّقَ عَسْكَرِيْ».

فقال العباس عليه السلام:

«فِدَاكَ رُوحُ أَخِيكَ، يَا سَيِّدِي قَدْ ضَاقَ صَدْرِي،
وَسَمِمْتُ الْحَيَاةَ، وَأُرِيدُ أَنْ أَخُذَ ثَأْرِي مِنْ هَؤُلَاءِ
الْمُنَافِقِينَ».

فقال الحسين عليه السلام:

«فَاطِبُّ لِهَوْلَاءِ الْأَطْفَالِ قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ»^(١).

وخرج العباس عليه السلام وكشف أربعة آلاف فارس عن المشرعة، ووصل إليها، واغترف غرفة ليشرّب فتذكّر عطش الحسين عليه السلام فرمى الماء على الماء، وقال:

يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُونِي
وَبَعْدَهُ لَا كُنْتِ أَوْ تَكُونِي
هَذَا الْحُسَيْنُ وَارِدُ الْمَنُونِ
وَتَشْرَبِينَ بَارِدَ الْمَعِينِ؟
تَاللَّهِ مَا هَذَا فِعَالٌ دِينِي
وَلَا فِعَالٌ صَادِقِ الْيَقِينِ

* * *

بعد ذلك دخلت قافلة الأسرى المدينة، فجاءت السيّدة زينب عليها السلام ومعها الكثيرات من النساء، ودخلت مسجد جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله فرفعت صوتها، ونادت من قلب مقروح وبنبرة تصدع القلوب:

«يَا جَدَّاهُ إِنِّي نَاعِيَةٌ إِلَيْكَ أَخِي الْحُسَيْنِ عليه السلام»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٩٨.

وارتفعت الأصوات حولها بالندب والبكاء، وهي لم تكن قد هدأت بعد.

* * *

لقد رصدت أمّ البنين عليها السلام، بنفس العين التي ربّت وسهرت، رصدت خروج الهاشميات معولات يندبن الحسين عليه السلام في أرجاء المدينة، ويعاتبن أهلها قائلات:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ
مَاذَا فَعَلْتُمْ وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَّمِ

بِعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي بَعْدَ مُفْتَقِدِي
مِنْهُمْ أُسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بِدَمٍ؟

مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ
أَنْ تَخْلِفُونِي بِسَوْءِ فِي ذَوِي رَجْمِي!

كما شاهدت لوعة أمّ كلثوم عليها السلام وهي تنشد:

مَدِينَةَ جَدِّنَا لَا تَقْبَلِينَا
فِي الْحَسْرَاتِ وَالْأَحْزَانِ جُنُنَا

أَلَا فَأَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ عَنَّا
بِأَنَّا قَدْ فُجِعْنَا فِي أَيْدِينَا

وَأَخْبِرْ جَدَّنَا أَنَّا أُسِرْنَا
وَبَعْدَ الْأَسْرِيَا جَدًّا سُبِينَا

السَّانِ، وَهَذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتِي لَا مِثْلَهَا رَزِيَّةٌ..

أَيُّهَا النَّاسُ..

فَأَيُّ رِجَالٍ مِنْكُمْ يُسْرُونَ بَعْدَ قَتْلِهِ؟ أَمْ أَيْتُهُ عَيْنٍ
مِنْكُمْ تَحْبِسُ دَمْعَهَا وَتَضْنُ^(١) عَنِ انْهَمَالِهَا؟ فَلَقَدْ
بَكَتِ السَّبْعُ الشِّدَادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبِحَارُ بِأَمْوَاجِهَا،
وَالسَّمَاوَاتُ بِأَرْكَانِهَا، وَالْأَرْضُ بِأَرْجَائِهَا، وَالْأَشْجَارُ
بِأَغْصَانِهَا، وَالْحَيْتَانُ وَلُجَجُ الْبِحَارِ، وَالْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ، وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ أَجْمَعُونَ..

أَيُّهَا النَّاسُ..

أَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ؟ أَمْ أَيْ فُؤَادٍ لَا يَحْنُ إِلَيْهِ؟ أَمْ
أَيُّ سَمْعٍ يَسْمَعُ هَذِهِ التُّلْمَةَ الَّتِي ثَلَمَتْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا
يُصَمُّ؟

أَيُّهَا النَّاسُ..

أَصْبَحْنَا مَطْرُودِينَ، مُشَرَّدِينَ، مَذُودِينَ، شَاسِعِينَ عَنِ
الْأَمْصَارِ، كَأَنَّا أَوْلَادُ تَرْكٍ وَكَابِلٍ، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْنَاهُ،
وَلَا مَكْرُوهٍ اذْتَكَبْنَاهُ، وَلَا ثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمْنَاهَا، مَا

(١) ضَنَّ بِالْمَكَانِ تَمَسَّكَ بِهِ وَحَرَصَ عَلَيْهِ، لَمْ يَبْرَحْهُ .

سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ، وَاللَّهُ
لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي قِتَالِنَا كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ
فِي الْوَصَايَةِ بِنَا لَمَا أزدَادُوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا بِنَا، فَإِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا، وَأَوْجَعَهَا،
وَأَفْجَعَهَا، وَأَكْظَهَا، وَأَفْظَهَا، وَأَمْرَهَا، وَأَفْدَحَهَا، فَعِنْدَ
اللَّهِ نَحْتَسِبُ فِيَمَا أَصَابْنَا، وَمَا بَلَغَ بِنَا، إِنَّهُ عَزِيزٌ ذُو
إِنْتِقَامٍ»^(١).

* * *

لم تبخل أم البنين عليها السلام على أولادها بالدمع لفقدهم،
ولا على أحفادها بالعطف ليتمهم، ولكن روحها كانت
تخلق في سماء الحسين عليه السلام.

وحتى عندما كانت تجالس زينب عليها السلام كانت ترى في
نظرها نظرة الحسين عليه السلام، وفي نبرتها نبرته، وفي صورتها
صورتها. فتسألها عن تفاصيل ما جرى للعباس عليه السلام
فتقول لها زينب عليها السلام:

- لقد وقف ابنك العباس عليه السلام في بني هاشم يدعوهم
للتمسك بحبل الحسين عليه السلام، ولما حمي الوطيس كان لهم
ولسائر الأنصار قائداً، وعنهم جميعاً ذائداً، فإذا حوَّص

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٤٧-١٤٩.

أصحابه، قام بأمر الحسين عليه السلام أو برفقته، ينقض على الأعداء كالبرق الخاطف، فيستنقذهم.

لقد صال كصولات أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر الناس بليث بدرٍ وحنين، حتى إذا بلغ نهاية المطاف، ولم يبقَ من الأنصار إلا بنو هاشم، بادر يريد أن يبدأ بالقتال، ولكن أخي الحسين عليه السلام كان لا يرغب في فقدته!

فقدّم الحسين عليه السلام للموت أولاً ولده علياً الأكبر عليه السلام، شبيهه جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالحسين عليه السلام لم يرض أن يسبقه للبراز من بني هاشم أحد».

ولما أبدت أمّ البنين عليها السلام دهشتها من مقتل علي الأكبر قبل غيره من بني هاشم، قالت السيّدة زينب عليها السلام:

هو الحسين عليه السلام حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، ألم يكن جدّنا صلى الله عليه وآله يقدّم أهل بيته الأقربين على أصحابه في المعارك، ويتخذهم دروعاً لهم في كلّ الدروب والمسالك؟! ألم يشهد مقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة عليه السلام يوم أحد، وجعفر عليه السلام يوم مؤتة، وكان أبي في كلّ تلك الحروب يتقدّم القوم في مبارزة الرجال، يقبي المسلمين بنفسه، ويردّ عنهم الضرب بسيفه..

وهو ذا الحسين عليه السلام يدفع الموت عن أحبّته بأحبّ

أولاده.

وأضافت زينب عليها السلام قائلة:

- أمّا ابنك العباس عليه السلام فقد اقتدى بالحسين عليه السلام،
وواساه أيضاً بذلك.. فقدّم للموت ولديه محمداً
والقاسم، ويالهما من درّتين لم يبلغا أوان الشباب!
طأطأت أمّ البنين عليها السلام رأسها وهي تقول:

- لم يدع الشكل امرأة من بني هاشم إلّا نالها، فلنا فيك
ياسيدي أسوة.. إنّ المصاب لعظيم، وإنّ الخطب لمهول،
ولكن الجرح يسكّنه الجرح الأعمق، إنّ مصاب الحسين
عليه السلام لم يدع لنا مصاباً سواه..

كانت أمّ البنين عليها السلام صابرة تنطق بما تراه وتحياه،
فكانت ترى كلّ مصيبة سوى مصيبة الحسين عليه السلام هيّنة،
حتى ولو كانت مصيبة فقدان أولادها الأربعة.

وتابعت زينب عليها السلام حديثها قائلة:

- إنّ أبا الفضل عليه السلام لم يكتفِ بمواساة أخيه بولديه،
بل إنّه دعا أخوته إلى القتال، حتّى يحتسبهم عند ربّه.
كانت أمّ البنين متلهّفة لمعرفة أخبار كربلاء، وكانت
كلّها أذان صاغية، فقالت لها زينب عليها السلام:

- أتعرفين يا أمّ البنين أنّ الشمر أتى يوم التاسع من
محرم بأمان من ابن زياد للعبّاس عليه السلام وإخوته، بحجة

أنه من أخوالهم، وناداه مراراً من بين الصفوف، فأبى العباس أن يجيبه، ولكن الحسين عليه السلام أمره بأن يجيبه ولو كان فاسقاً، فلما عرض عليه الأمان قال له العباس عليه السلام:

لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا أمان له، وتأمرونا أن ندخل في طاعة اللعناء، وأولاد اللعناء؟!.

قالت أم البنين عليها السلام:

- سيدي أريد تفاصيل أكثر عما جرى في كربلاء لولدي.

فقالت زينب عليها السلام:

- في يوم عاشوراء جمع العباس عليه السلام إخوته وقال لهم:

«يا بني أمي تقدّموا حتّى أراكم قد نصّحتُم لله ورَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، وأنّه لا ولد لكم»^(١).

فأما عبدالله، فقد برز إلى القتال وهو يقول:

أنا ابنُ ذي النّجْدَةِ والإفْضالِ
ذاكَ عَلَيَّ الخَيْرِ ذُو الفَعَالِ
سَيِّفُ رَسولِ اللهِ ذُو النِّكَالِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ ظَاهِرِ الأَهْوَالِ

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى، ص ٢٤٨.

فقاتل قتال الأبطال، ثم بارزه هاني بن ثابت
الحَضْرَمِيِّ، فقتله هاني.

ثم برز بعده جعفر وهو يقول:

إِنِّي أَنَا جَعْفَرُ ذُو الْمَعَالِي
ابْنُ عَلِيٍّ الْخَيْرِ ذُو النَّوَالِ
ذَاكَ الْوَصِيِّ ذُو السَّنَا وَالْوَالِي
حَسْبِي بَعْمِي جَعْفَرُ وَالْخَالِ
أَحْمِي حُسَيْنًا ذَا النَّدَى الْمُفْضَالِ

فحمل عليه هاني بن ثابت الحضرمي أيضاً فقتله،
وحز رأسه الشريف.

وأما عثمان فقد تقدم للحرب، بعد استشهاد أخويه،
قائلاً:

إِنِّي أَنَا عُثْمَانُ ذُو الْمَفَاخِرِ
شَيْخِي عَلِيٌّ ذُو الْفَعَالِ الظَّاهِرِ
هَذَا حُسَيْنٌ سَيِّدُ الْأَخَائِرِ
وَسَيِّدُ الصِّغَارِ وَالْأَكَابِرِ
بَعْدَ النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ النَّاصِرِ

قالت أم البنين عليها السلام : وماذا عن العباس عليه السلام؟ كيف بارز؟ كيف قُتل؟

قالت زينب عليها السلام:

- لقد كان العباس عليه السلام حامل لواء الحسين عليه السلام، ولم نجد أحداً مثله حمل اللواء، حتى أن يزيداً حينما سلّموا إليه اللواء في جملة الأسلاب، قال:

«عجبتُ للواء تمزّق إرباً إرباً حتى لم يبقَ منه إلا مكان قبضة اليد، فإذا هي سالمة، إنَّ حامل هذا اللواء لهو بطل ولدته الأبطال».

حقاً كان العباس بطلاً ورث البطولة من أبيه عليه السلام، والنبيل منك.

فبعد أن أخذ الإذن من الحسين عليه السلام حمل السيف والدرع والقربة، وسعى إلى المشرعة يريد أن يروي ظمأنا، كما تعود عليه منذ عرف معنى العطش والإرواء.

وكان العباس عليه السلام بالماء مهتماً، ولعطش الحسين عليه السلام مغتماً، واختار درباً أقرب إلى مخيم الحسين عليه السلام، فحالوا بينه وبين الماء، فطردهم شرّ طردة ودخل المشرعة، واغترف منها غرفة فتذكّر عطش الحسين عليه السلام، فرمى الماء على الماء وقال - كما ذكرتُ لك -:

يَا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُونِي
وَبَعْدَهُ لَا كُنْتِ أَوْ تَكُونِي

هَذَا الْحُسَيْنُ وَارِدُ الْمَنُونِ
وَتَشْرَبِينَ بَارِدَ الْمَعِينِ؟

تَاللَّهِ مَا هَذَا فِعْأَلٌ دِينِي
وَلَا فِعْأَلٌ صَادِقِ الْيَقِينِ

فملاً القربة، وصار إيصال الماء إلى المخيم هو مقصوده، كان يريد إرواء عطش الأطفال في مخيمنا لا مبارزة الأقران، ولئن قاتل ففي سبيل ذلك، ولو كان هدفه المبارزة والقتال، لما صمد له منهم أحد، وبينما كان ماضياً إلى المخيم، وقد علّق القربة على صدره، انبرى له لعينٌ من وراء نخلة فضربه على يمينه فقطعها، فطارت في السماء، فأخذ القربة بشماله واستمر نحو المخيم وهو يقول:

وَاللَّهِ إِنْ قَطَعْتُمْ يَمِينِي
إِنِّي أَحَامِي أَبَدًا عَنْ دِينِي

وَعَنْ إِمَامِ صَادِقِ الْيَقِينِ
نَجَلِ النَّبِيِّ الظَّاهِرِ الْأَمِينِ

ولكن الغدر كان له بالمرصاد، وإذا بأخر رصده وهو يحصد الأرواح بسيفه، وكمّن له خلف نخلة أخرى،

وضربه على شاله فقطعها.

يَا نَفْسُ لَا تَخْشِي مِنَ الْكُفَّارِ
وَأَبْشِرِي بِرَحْمَةِ الْجَبَّارِ
مَعَ النَّبِيِّ السَّيِّدِ الْمُخْتَارِ
قَدْ قَطَعُوا بِبَغْيِهِمْ يَسَارِي
فَأَضْلِهِمْ يَا رَبِّ حَزَّ النَّارِ

وحينئذٍ رشقوه بالسهم، فسهم أصاب عينه، وآخر أصاب صدره، وثالث أصاب القربة وأريق ماؤها، فوقف بلا حراك: إذ لا ماء فيوصله، ولا يد ليقاتل بها، فجاء أحدهم من ورائه، وضربه بعمود على رأسه فهوى إلى الأرض، فنادى:

عَلَيْكَ مِنِّي السَّلَامُ أبا عَبْدِ اللَّهِ.

وجاءه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كالصقر المنقض فرآه بتلك الحالة: القربة خالية من الماء، ورأسه مفضوخ بعمد الحديد، والسهم نابت في عينه، ويداه مقطوعتان، فقال العباس عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو لا يرى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بسبب الدماء التي كانت على عينه:

يا هذا..

أمهلني هنيهة حتى يدركني ابن والدي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ،

فَأُوْدِّعُهُ وَيُوْدِّعُنِيْ!

فَأَجْهَشُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُكَاءِ، وَأُجَابُ:

أَخِي عَبَّاسُ..أَنَا أَخُوكَ الْحُسَيْنِ.

فَانْتَنِيْ عَلَيْهِ وَبَكَى بِكَاءٍ عَالِيًّا، وَقَالَ:

الآنَ انْكَسَرَ ظَهْرِيْ، وَقَلَّتْ حِيلَتِيْ، وَشَمَتَ بِي
عَدُوِّي (١).

ثمَّ جَلَسَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَانِبِهِ وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ،
وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنِ عَيْنَيْهِ، فَرَأَى الْعَبَّاسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَبْكِي، فَقَالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟

فَقَالَ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا نُورَ عَيْنِي ، وَكَيْفَ لَا أَبْكِي وَمِثْلَكَ الآنَ جِئْتَنِي
وَأَخَذْتَ رَأْسِي، فَبَعْدَ سَاعَةٍ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَكَ عَنِ
التُّرَابِ ، وَمَنْ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنِ وَجْهِكَ؟! (٢)

وَبَيْنَمَا كَانَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْسَحُ عَنِ الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّمَ
وَالتُّرَابَ فَاضَتْ رُوحُ أَبِي الْفَضْلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَارئِهَا، رَاضِيَةً

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عَلَيْهِ السَّلَامُ، ج٣، ص ١٩٢.

(٢) موسوعة كربلاء، ج٢، ص ١٣٤.

مرضيّة، وهو على صدر الحسين عليه السلام.

* * *

كانت السيّدة أمّ البنين عليها السلام بعد واقعة كربلاء ترفع راية الحسين عليه السلام والعباس - كبقية أهل البيت عليهم السلام - في المدينة، فتندب قتلى كربلاء، وتطوف كلّ يوم في بيوت الشهداء، فتارة في بيت الحسين عليه السلام وتارة في بيت أبي الفضل العباس عليه السلام تواسي زوجته «لبابة» التي فقدت زوجها واثنين من أولادها، وهي لم تتجاوز عمر الشباب بعد، وكانت تدخل أحياناً حجرة العباس عليه السلام تشمّ عبيره، وتستذكر نبرته، ولعلّها كانت تتذكّر النبيّ يعقوب عليه السلام الذي بكى على يوسف عليه السلام - وهو يعلم أنّه حيّ - حتّى ابيضّت عيناه من الحزن، وكان لديه من الأولاد بقية.. أمّا هي فقد فقدت أولادها الأربع كلّهم، ومعهم سيّدهم الحسين عليه السلام، وكانت تشد:

يَا مَنْ رَأَى الْعَبَّاسَ كَرًّا
عَلَى جَمَاهِيرِ النَّقْدِ
وَ وَرَاهُ مِنْ أَبْنَاءِ حَيْدَرٍ
كُلُّ لَيْثٍ ذِي لَبَدٍ
أُنْبِئْتُ أَنَّ ابْنِي أُصِيبُ
بِرَأْسِهِ مَقْطُوعَ يَدٍ

وَيْلِي عَلَى شِبْلِي أَمَّالٍ
بِرَأْسِهِ ضَرْبُ الْعَمَدِ؟
لَوْ كَانَ سَيْفُكَ فِي يَدِ
يَه لَمَّا دَنَا مِنْهُ أَحَدٌ

* * *

وكانت تذهب إلى البقيع، فتصنع قبوراً وتبكي عندها،
وكلما مرّت عيها امرأة تسألها عن سبب جلوسها قائلة:
- ماذا تفعلين يا أمّ البنين؟

فكانت تنفّس الصعداء وتجهش بالبكاء وهي تقول:

لَا تَدْعُونِي وَيْكَ أُمَّ الْبَنِينَ
تُذَكِّرِينِي بِلِيُوثِ الْعَرِينِ
كَانَتْ بَنُونَ لِي أَدْعَى بِهِمْ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ وَلَا مِنْ بَنِينَ
أَرْبَعَةٌ مِثْلُ نُسُورِ الرَّبِيِّ
قَدْ وَاصَلُوا الْمَوْتَ بِقَطْعِ الْوَتِينِ
تَنَازَعَ الْخِرْصَانُ أَشْلَاءَهُمْ
فَكَلُّهُمْ أَمْسَى صَرِيحاً طَعِينِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي أَكَمَا أَخْبَرُوا
بِأَنَّ عَبَّاساً قَطِيعُ الْيَمِينِ

وهكذا كانت تندبهم صباحاً ومساءً، حتى يبكي
لندبتها كلّ عدوّ وصديق.

وكما كان الإمام زين العابدين عليه السلام لا يأكل طعامه إلاّ
محبولاً بوجعه، ولا يشرب شرابه إلاّ ممزوجاً بدمعه، كذلك
كانت أمّ البنين عليها السلام.

كانت تربي أولاد العباس عليهم السلام بأخلاقها، وتعلّمهم كلّ
دعواتها وصلواتها، وتزرع فيهم كلّ ما تعلّمته على مدى
الحياة.

إنجازات أم البنين عليها السلام

كلّما جرى الحديث عن السيّدة أمّ
البنين عليها السلام تساءل البعض: ما هي
إنجازات هذه السيّدة؟

ولماذا الاهتمام بها إلى هذه
الدرجة؟

والجواب: إنّ اهتمامنا بالسيّدة أمّ
البنين عليها السلام إنّما هو لأمرين:

○ الأول: مقامها عند ربّها:

فكما نهتم ببقية أولياء الله من



الرجال والنساء كذلك نهتم بها؛ فنحن نؤمن بمريم بنت عمران عليها السلام ليس لأن لها إنجازات مادية على الأرض، وإنما لاصطفاء الله لها، حيث جعلها سيّدة نساء عالمها. وإذا كان الميزان في تقييم الأفراد هو مقدار التقوى الذي يتمتع به المؤمنون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾^(١) ومدى عبادة الله وهو هدف خلقتنا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، فإنّ أمّ البنين عليها السلام تكون في الصف الأول من النساء الصالحات، مع فاطمة وزينب عليهما السلام شأنها في ذلك شأن حواء وهاجر ومريم وخديجة عليهن السلام، وإن لم تكن ترقى إلى درجة أولئك، ولكنها على كلّ حال في صفهنّ ومعهنّ.

إنّ من يبحث عن إنجازات مادية مثل بناء البنايات، وإقامة المصانع، وفتح الطرقات، ويعتبر ذلك هو الميزان لا يعرف القيم التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام والتي بها يتفاضل الناس.

إنّ إنجازات الأولياء والصالحين من عباد الله هي في الدرجة الأولى إنجازات معنوية؛ مثل تزكية النفس، وحسن الأخلاق، والتواضع، والتضحية، والشجاعة، والوفاء، والدفاع عن الحقّ والعدل.

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

٥ ثانياً: القدوة والنموذج:

نحن نرى في السيِّدة أمِّ البنين عليها السلام مثلاً ونموذجاً لا بدّ أن تقتدي به نساؤنا، وفي النماذج نبحث عن الأخلاق والعطاء، وليس عن الإنجازات الماديّة، وامتلاك الأموال والعقارات.

لوعرفت الأمة مقامات أمّ البنين عَلَيْهَا السَّلَامُ

لرفعتها مكاناً علياً..

ولتوسّلت بها في كلّ حاجاتها..

ولوضعت اسمها على كلّ ما يرتبط بالأخلاق، والخير، والصلاح.

هي باب للحوائج

ويسأل البعض: لماذا يلتجئ
الناس إلى السيِّدة أمِّ البنين عَلَيْهَا السَّلَامُ
لقضاء حاجاتهم؟

الجواب: لأنَّ الله سبحانه وتعالى
أراد لها أن تكون شفيعة المحتاجين.
فربَّنَا جعل أوليائه هم الوسيلة
إلى رضوانه، وطالبنا بالتوسُّل بهم
إليه قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١)، وهذه

(١) سورة المائدة، الآية ٣٥.

الآية دليل على ذلك، وهذا حقّ وعدل؛ فلقد جرت سنة الله عزّ وجلّ أن يعطي لعباده أكثر مما يعطون من أنفسهم لرّبهم، فإذا أعطى أحد ما يرضي ربّه، فإنّ الله -الذي هو أكرم من عباده- يعطيه من كرمه وجوده ما لا يخطر على بال.

إنّ أمّ البنين عليها السلام قدّمت كلّ التضحيات في سبيل الله سبحانه، فليس من العجب أن يجعلها الله وسيلةً لقضاء حاجات عباده.

ويكفي أنّ كثيراً من المؤمنين قضى الله حوائجهم بواسطة هذه المرأة الصالحة، فكم من الناس توسّلوا بأمّ البنين عليها السلام إلى الله عزّ وجلّ في أوقات العسر والشدة، ففرج الله عنهم وقضى حوائجهم!

ومن المفارقات هنا أنّ أمّ البنين عليها السلام التي كانت في حياتها قنوعة، استمرّت كذلك إلى ما بعد وفاتها، فبأقلّ عمل صالح تهديه لها تقضي لك حوائجك، فمثلاً أنّ تصلّي على محمّد وآله عليهم السلام وتهدي ثواب ذلك إليها، فإنّ حاجاتك في العادة تُقضى ببركتها.

فبإقامة ركعتي صلاة، تهديها إلى هذه المرأة الصالحة تُقضى لك المعسرات من الحاجات.

ولو أنّ أحداً أراد أن يجمع من القصص والحكايات عن الذين قُضيت حوائجهم بسبب توسّلهم بالسيّدة أمّ

البنين ﷺ لتجاوزت صفحاته عشرة آلاف صفحة.

ومن باب ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١) فإنِّي ممّن يتوسّل في كلّ يوم من أيّام حياتي بهذه السيّدة الكريمة في قضاء حوائجي، وأجد منها برد الإجابة والله الحمد، ولا أعتقد أنّ أحداً يمكنه تشكيكي في هذا الأمر، ما دامت حوائجي تُقضى بواسطتها كلّ يوم.

(١) سورة الضحى، الآية ١١.

توسّلوا إلى الله بأُمَّ البنين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ..

فهي باب رحمة الله ..

وقدّموها بين يدي حاجاتكم ..

فسرعان ما تجدون برد استجابة الله لدعائكم .

حِكْمٌ عَظِيمَةٌ مِنْ حَيَاةِ أُمِّ الْبَنِينَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

قال الله العظيم في كتابه الكريم:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

عرفنا أن تاريخ أم البنين عَلَيْهَا السَّلَامُ يبدأ
من الرؤيا التي رآها أبوها في المنام:

(١) سورة التوبة، الآية ٧١.

كَأَنَّ فِي يَدِهِ جَوْهَرَةً يَقْلِبُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ مَنْبَهراً بَهَا، وَأَنَّ أَحَدَهُمْ
طَلَبَهَا مِنْهُ لِعَظِيمٍ مِنَ الْعِظْمَاءِ، وَضَمَّنَ لَهُ الْحِظْوَةَ عِنْدَهُ،
فَقَبِلَ مِنْهُ وَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ، وَفُسِّرَتْ هَذِهِ الرَّؤْيَا بِأَنَّ سِيرِزِقَ
بَابِنَةَ يَخْطُبُهَا أَحَدَ الْعِظْمَاءِ.

هنا يتساءل البعض: لماذا نحن نهتم بالأحلام،
والرؤى، وهل هي حجة في شيء؟ ثم كيف نميز بين
الرؤيا الصادقة، والأخرى غير الصادقة؟

الجواب على ذلك: إنَّ الرؤيا تختلف بحسب مَنْ يراها،
فرؤيا الأنبياء ﷺ هي حُجَّةٌ عَلَى الْجَمِيعِ، لِأَنَّهَا مِنْ
وَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ كَانُوا يَتَلَقُّونَ
الرُّؤْيَا كَوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَتَّبِعُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ فِي مَنَامِهِمْ،
حَتَّى وَإِنْ كَانَتْ رُؤْيَاهُمْ أَنْ يَقْتُلَ أَحَدَهُمْ وَلَدَهُ، كَمَا حَدَّثَ
لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ ﷺ:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي
أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (١).

فقد رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل ﷺ وهو
أيضاً نبي، ويعرف أن رؤيا والده حجة عليه، وأنه وحي
من الله. فقال إسماعيل ﷺ:

(١) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

﴿قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

وكذلك الرؤيا التي رآها يوسف عليه السلام في بداية حياته، وتلك التي رآها الملك فيما بعد، حيث إن حياة هذا النبي العظيم تدور حول رؤيتين، رؤياه التي قصّها على أبيه، حيث رأى في المنام أنّ الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً يسجدون له.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٢)، وكان معنى ذلك أنّه سيكون نبياً، وله الولاية التكوينية.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).

هذه رؤيا الأنبياء عليهم السلام، فهي على كلّ حال صادقة، وهكذا فهمها يوسف عليه السلام، وهكذا فهمها يعقوب عليه السلام أبوه.

فالرؤيا بالنسبة للأنبياء عليهم السلام حجة عليهم وعلى الناس، ولكن هل ما يراه الناس أيضاً حجة على أحد؟
فلو أنّك رأيت في المنام أنّك تطلب جارك مبلغاً من

(١) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

(٢) سورة يوسف، الآية ٤.

(٣) سورة يوسف، الآية ٥.

المال، فهل عليك أن تستند إلى رؤياك هذه، وتطالبه بالمال؟ هل كل ما يراه الناس هو مثل رؤيا الأنبياء ﷺ، أم أن هنالك فرقاً بين ما يسمّى بأضغاث أحلام، وبين الرؤيا التي قال عنها رسول الله ﷺ :

«إِنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنَ النَّبُوءَةِ»^(١)؟

الجواب : هنالك رؤيا صادقة قد يراها الناس العاديون، وأخرى لا قيمة لها، فالرؤيا التي تفسرها أحداث المستقبل هي صادقة، فالملك الذي لم يكن وقتها من الأبرار، رأى رؤيا كأنّ سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف.. وكانت رؤيا صادقة، لأنّ يوسف ﷺ فسرها بما يحدث في المستقبل، وقد حدث ذلك بالفعل، هذا النوع من الرؤيا لا بدّ من الاهتمام به، وأخذه بعين الاعتبار، أمّا ما يراه الناس من رؤيا ولا يفسرها الزمن ولا معنى لها، فلا قيمة لها.

ولقد حدث لي شخصياً رؤيا صادقة لأحد الخطباء من أهالي مدينة مشهد الإمام الرضا ﷺ، وهو واحد من مجموعة أخوة كلهم علماء وخطباء ورجال صالحون، جاءنا هذا الأخ في دمشق، وكنا وقتها نعيش في منطقة السيّدة زينب ﷺ، وكان يريد الذهاب إلى الحج، ويحتاج

(١) روضة الواعظين و بصيرة المتعظين، ج ١، ص: ٢٣٤.

إلى المساعدة في بعض الأمور الإدارية التي ترتبط بقضايا التأشيرة وتذاكر الطائرة، فأعطاني جوازه لأعطيه لأحد الأخوة لقضاء حاجته، ولكنني ضيّعت الجواز، وبعد أن فتشنا البيت كلّه، ولم نعثر على جوازه ويئسنا تماماً، وكان يراجعنا كلّ يوم، حتى أنّني رأيت بأنّ الرجل ربما يظنّ أنّني أريد مصادرة جوازه منه، وعلى كلّ حال فإنّ ضياع الجواز كان يؤدّي به إلى عدم ذهابه إلى الحج، بالإضافة إلى مشاكل استصدار جواز جديد، وكانت الأيام تمرّ بسرعة، ووقت الحج يضيق، والرجل يزداد قلقاً.

وفي ذات يوم جاءني في الصباح الباكر، وقال لي: هل تسمح لي أن أفتش بيتك، لعلّي أجد جوازي؟
قلت له: لقد قلّبتنا البيت رأساً على عقب، ولم نلقِ الجواز.

فأصرّ على ذلك.

فقلت له: تفضل ..

قال: أنا فقط أريد تفتيش مكان معين، وهو غرفة المكتبة.

قلت له: أهلاً وسهلاً.

كانت الغرفة مليئة بأكثر من ثلاثة آلاف كتاب، وفتحت له الباب ودخل الغرفة، وذهب مباشرة إلى

كتاب في وسط المكتبة، وفتحته، وأخرج جوازه منه.

قلت له : يا هذا، من أين عرفت مكان جوازك؟

قال : توّسّلت إلى الله عزّوجلّ بالسّيدة زينب عليها السلام فرأيت في المنام أن جوازي موجود داخل هذا الكتاب، وفي هذا المكان في المكتبة.

كانت رؤياه صادقة، لأنّه وجد جوازه بالفعل، تصوّروا لو كنا مطمئنين أنّ جوازه في المكتبة لكان علينا أن نأخذ كلّ كتاب ونفتش داخله، وهو لم يفتش كلّ المكتبة، إنّما أخرج جوازه -بناء على رؤياه- من كتاب واحد هناك. وفيما بعد تبين أنّ الجواز وُضع على طاولة في الغرفة، وجاء أحد الأخوة وأخذ كتاباً وبدأ يقرأه، وكان ينتظر أحد أصحابه، لكي يخرج معه، وإذا بصاحبه يدق الجرس، فلكي لا يضيّع المكان الذي كان يقرأ فيه الكتاب، وضع الجواز وسطه، ووضع الكتاب على الطاولة، وجاء أحدهم ووضع الكتاب مع كتب المكتبة، هذا هو ما تبين فيما بعد، لكن أن يجد الرجل جوازه بالفعل بناء على رؤيا فإنّ ذلك دليل على أنّها كانت صادقة.

أمّا غير ذلك فليس كذلك، وهكذا فإنّه ليست كلّ رؤيا يمكن اعتبارها صادقة، ولا كلّها نتاج عواطف مكبوتة، وشهوات جنسية غير مشبعة، كما يقول فرويد.

أمّا بالنسبة إلى رؤيا حزام بن خالد، والد السيّدة أمّ البنين عليها السلام، فإنّها قطعاً كانت صادقة، لأنّ الرجل كان يعيش في مكان يبعد ثلاثة أيام عن المدينة المنورة، ولم تكن بينه وبين الإمام علي عليه السلام قرابة، ورأى في المنام ما رأى، وفُسر بأنّه يُرزق بابنة كأثما جوهرة، ويخطبها عظيم وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وبناءً على تلك الرؤيا التي رآها حزام، فإنّه كان ينظر إلى ابنته كجوهرة حقيقيّة، وينتظر لها زوجاً عظيماً ليخطبها منه، وهكذا عرف الرجل مصير ابنته، أمّا هي فمن جانبها فقد رأت قبل أن تتزوج رؤيا صادقة أيضاً، فقد رأت سقوط أبنائها الأربعة شهداء في كربلاء، وذلك من خلال ما رأت في المنام كأنّ الدنيا ليل، وهي تنظر إلى السماء، فإذا بالقمر ينقضّ من كبد السماء ويقع في حجرها، وكذلك ثلاثة من النجوم الزواهر تنقضّ من السماء نحو الأرض وتقع في حجرها، وكانت رؤيا صادقة، حيث إنّها أنجبت قمر بني هاشم، وثلاثة أولاد، كلّهم سقطوا شهداء في كربلاء.

* * *

هذا ما يرتبط بالرؤيا ونعود مرة أخرى إلى حياة السيّدة العظيمة أمّ البنين عليها السلام فإنّ المتدبر في حياتها يجد أنّها حياة مليئة بالعبر والمواعظ، نذكر بعضها فيما يلي :

ه أولاً: طريقة الزواج

تمّ زواج هذه المرأة النبيلة على الطريقة الدينيّة، أي من خلال اختيار الأبوين، وليس من خلال اختيار الفتاة.

إنّ اختيار الأبوين عادة أفضل من انتخاب المرأة لزوجها، أو انتخاب الرجل لزوجته، فوالد أمّ البنين عليه السلام هو الذي اختار زوج ابنته، بعد أن جاء عقيلاً لخطبتها، ولكن بالطبع لا بدّ من استشارة الفتاة، كما لا بدّ من موافقة الرجل، أمّا لماذا يكون مثل هذا النوع من الزواج أفضل؟ فلأنّ الأبوين يختاران لأولادهما أفضل ممّا يختاران لأنفسهما، وهما ينظران إلى أبعاد مختلفة، وليس إلى بُعدٍ واحدٍ.

وكذلك فقد كان المعيار في الانتخاب هو الدين والتقوى، فمن أفضل من الإمام علي عليه السلام وهو أمير المؤمنين وسيدّهم، وهذه نقطة مهمة إذ يخطئ من يظن أن الثروة والمكانة الاجتماعية هما الأهم في الاختيار.

ه ثانياً: محورية الأم في الأسرة

إنّ التركيز على دور الأم في إدارة البيت وتربية الأولاد، باعتبارها محوراً، أمرٌ يختص به المؤمنون وحدهم، ذلك أنّ المرء يمكن أن يزور كلّ شيء، لكنّه لا يستطيع أن يزور أمّه، فالأب الذي يُنسب إليه الأولاد، ربما لا يكون أباً

حقيقياً لهم، وليس فحص الـ (D.N.A) إلا لاكتشاف الحقيقة من الزيف، ومن هنا فإنّ أحاديثنا تقول إنّ المرء يُنادى يوم القيامة باسمه واسم أمّه، وحتى في بعض الأدعية والأحراز فإنّ المطلوب ذكر اسم الشخص واسم أمّه، وليس اسم أبيه.

الإمام عليّ عليه السلام يقول لعقيل :

«يا عقيل.. انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من

العرب»^(١).

وحينما يسأله عقيل عن السبب يقول عليه السلام :

«لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً..».

وهذا الاهتمام بمستقبل العلاقة مع المرأة الصالحة، أمرٌ مهم، لأنّه ليست كلّ فتاة يراها الرجل في الشارع تكون زوجة صالحة له، ولا أمّاً صالحة لأولاده.

o ثالثاً : انتخاب أسماء الأبناء

تعيين الأسماء الجميلة للأولاد أمر مهم وجوهري، ولذلك فقد وردت الروايات والأحاديث لتؤكد هذا الأمر، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يَا عَلِيُّ حَقُّ الْوَلَدِ عَلَيَّ وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ

(١) عمده الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ٣٢٠.

وَيَضَعُهُ مَوْضِعاً صَالِحاً»^(١).

ويقول الإمام الرضا عليه السلام:

«أَوَّلُ مَا يَبْرُؤُ الرَّجُلُ وَلَدَهُ أَنْ يُسَمِّيَهُ بِاسْمِ حَسَنِ؛ فَلْيُحْسِنِ
أَحَدُكُمْ اسْمَ وَلَدِهِ»^(٢).

وهذا ما فعله حزام لابنته حيث سماها باسم فاطمة
الزهراء عليها السلام، وكنّاها باسم جدتها أمّ البنين.

وفيما بعد اختار الإمام علي عليه السلام وأمّ البنين عليها السلام أسماء
جميلة لأولادهم؛ فاختراروا أسماء مثل:

العباس، الذي يشير إلى الشجاعة.

وعبدالله، تيمناً باسم والد النبي صلى الله عليه وآله.

وجعفر، تيمناً باسم جعفر بن أبي طالب عليه السلام.

وعثمان، تيمناً باسم عثمان بن مظعون، صديق رسول

الله صلى الله عليه وآله الذي حينما مات قام النبي صلى الله عليه وآله بنفسه بدفنه،

وقال صلى الله عليه وآله:

«نِعَمَ السَّلَفُ لَنَا»^(٣).

وحينما مات ابنه إبراهيم قال صلى الله عليه وآله بعد دفنه:

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص: ٣٧٢.

(٢) الكافي، ج ٦، ص: ١٨.

(٣) الكافي، ج ٣، ص: ٢٦٣.

«الْحَقُّ بِسَلْفِكَ الصَّالِحِ؛ عُثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ»^(١).

إنَّ حُسْنَ اختيار الأسماء للأبناء ليس مسألة عادية، بل هو أمر مهم، فمن يسمِّي اسم ولده بالصادق فإنه يجعله صادقاً، وكلِّما يناديه بهذا الاسم يوحى له بالصدق، فيكون صادقاً في حياته، وكذلك من يُسمِّي ولده بالرضا فهو يوحى إليه بهذه الصفة، وكذلك الأسماء مثل محمد، وعلي وفاطمة، والحسن، والحسين، والسجاد، وبقية أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام هي أسماء صالحة، كما أنَّ لها إيجابات جميلة، وتذكرنا بأفضل الناس في هذه الحياة.

أمَّا من يسمِّي أولاده بأسماء لا معانٍ لها، أو توحى بأمور غير أخلاقية، أو أسماء أبطال مزيفين، أو أسماء أشرار، فكأنَّه لا يهتم بتربية أولاده، ولا بمستقبلهم. تُرى لماذا يسمي أحدهم اسم ولده (زبالة) أو (زوزو) وما لا معنى له، بينما لديه أسماء جميلة نزلت من السماء كالحسن والحسين؟!

لماذا يسميه باسم سيخجل منه ابنه حينما يكبر؟!
أتذكَّر أنني رأيتُ مرة في مدينة مقدَّسة لافتة في وسط السوق مكتوب عليها: (أفضل الأقمشة الإنكليزية عند الحاج زبالة)، ألم يجد أبوا هذا الرجل اسماً آخر لولدهم؟

(١) الكافي، ج ٣، ص: ٢٦٣.

ثمّ لنفترض أنّ أحدهم فتح عينيه، وله اسم غير جميل فهو يستطيع أن يبدّل ذلك إذا أراد، فإذا كان الأبوان قد سجّلا أسماء لأولادهما لها معانٍ غير جميلة، فيمكنهم الاحتفاظ بذلك للوثائق الرسمية فقط، ويبدّلون أسماءهم إلى أسماء فيها البركة.

ألا يقول الحديث الشريف:

«أَمَّا إِذَا سَمَّيْتَهَا فَاطِمَةَ فَلَا تُسَبِّهَا وَلَا تَلْعَنُهَا وَلَا تُضْرِبُهَا»^(١).

وذلك كرامة لفاطمة الزهراء عليها السلام، وكذلك اسم محمد الذي له بركة للبيت والعائلة.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يُسمّى أولاده جميعاً باسم واحد وهو (عليّ) حتّى أنّ مروان بن الحكم رأى عليّاً الأكبر في المدينة، فقال له: ما اسمك؟ قال: عليّ.

قال مروان مستنكراً: عليّ، عليّ، عليّ، ألم يجد أبوك اسماً غير عليّ ليسمّي به أولاده؟
وحينما ذكر علي الأكبر ذلك لأبيه قال الحسين عليه السلام:

«والله لو رُزقت بمائة ابن لسميتهم عليّاً».

إنّ هذه الأسماء هي هويتنا بالإضافة إلى أنّها أسماء لها

(١) الكافي، ج ٦، ص: ٤٩.

معاني جميلة.

وهذه من عبر حياة أم البنين عليها السلام أن والدها سماها باسم جميل وكناها بكنية جميلة، كذلك هي فعلت مع أبنائها.

٥ رابعاً : أهمية البدايات والمقدمات

من العبر التي نستفيدها من حياة السيدة أم البنين عليها السلام هو معرفة سنة الله عز وجل في الحياة، فالله يبدأ كل شيء من مقدماته البعيدة، فإذا أراد أن يخلق عيسى بن مريم عليها السلام فهو يلهم أم مريم عليها السلام بأن تنذر ما في بطنها لعبادة الله، وحينما تضعها تجدها أنثى ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرَ إِلَّا أُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١).

فمريم المنذورة سلفاً لعبادة الله عز وجل هي أم نبي الله عيسى عليه السلام فهي وعاء له، لقد بدأ الله الأمر من مقدمات بعيدة، كذلك مع أم البنين عليها السلام فالله اختارها لكي تكون زوجة لولي الله، وأماً للشهداء الأربعة العظام، في طف كربلاء.

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٦.

معرفة هذه السُّنة الإلهية مهم جداً لكي نقتدي بذلك فيها، فإذا كنت تريد أن تتزوج فلا تنظر فقط إلى جمال المرأة، كميزان لاختيار زوجتك، لأن المرأة الجميلة في منبت سوء لا تصلح لك زوجة، فأخلاق عائلتها تؤثر فيها، وأخلاقها سوف تؤثر في أولادها.

من هنا يقول النبي الأكرم ﷺ:

«تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ»^(١).

ويقول ﷺ في حديث آخر:

«اخْتَارُوا لِنُطْفِكُمْ فَإِنَّ الْخَالَ أَحَدُ الضَّحِيعِينَ»^(٢).

وقام رسول الله ﷺ خطيباً ذات يوم فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ»

قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟

قال ﷺ:

«الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فِي مَنبَتِ السَّوِّءِ»^(٣).

إن الصفات النفسية تُورث، كما تُورث الصفات الجسدية، ولا بد من النظر إلى الأمرين معاً، سواء في

(١) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٩٣.

(٢) الكافي، ج ٥، ص: ٣٣٢.

(٣) الكافي، ج ١٠، ص ٥٩٢.

اختيار الزوج لل بنت، أو الزوجة للولد.

إنّ الزواج في الإسلام هو زواج العشيرتين، وليس زواج الولد والبنت فقط، فمن يقول لك: أنا أريد أن أتزوج بنتاً جميلة، ولا يهمني عائلتها وعشيرتها وقبيلتها، إن كانوا صالحين أو غير صالحين، ويضيف على ذلك قوله: أنا لا أريد أن أتزوج أبها أو أمها أو أخوها أو عشيرتها، فإنّه مخطئ، لأنّ الزواج وإن كان بين الذكر والأنثى، ولكن يحدث التقارب ما بين العشيرتين، ويقول المثل العربي «إنّ ثلثي الولد على أخواله»، فأنت تتزوج العشيرة غير أنّ واحدة منها هي زوجتك الحقيقية، ولهذا لا بدّ من اختيار الزوجة من عائلة شريفة، لا ظالمة ولا فاسقة.

ألم يكن الإمام عليّ عليه السلام يوصي وولاته بذوي البيوتات، وأولئك الذين ينتمون إلى بيوت عُرِفَت بالنُّبل، أمّا أولاد الشوارع الذين لا ينتمون إلى بيوت نبيلة، فإنّ أولادهم لن يأتوا صالحين منهم.

ه خامساً: الدين أساس الانتخاب الزوجي

من عبر حياة أمّ البنين عليها السلام أمّها قبلت بالزواج على قاعدة الدين، أي أمّها عملت بالقاعدة النبوية التي تقول:

«إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ يَخْطُبُ إِلَيْكُمْ
فَرُوجُوهُ إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

عَرِيضٌ»^(١).

لقد كان الإمام قَمَّة في الأخلاق والدين، مع أنه كان عندما خطب أم البنين عليها السلام تحت الإقامة الجبرية في زمن الخليفة الثاني، ولم يكن يملك من مال الدنيا شيئاً، وأم البنين عليها السلام كانت تنتمي إلى قبيلة ثرية ذات أملاك وخيول وجمال وغير ذلك، ولكنها قدّمت الدين والأخلاق على الأموال، رغم أن كثيرين خطبوها من عائلتها، لكن أباهما رفض، لأنه كان يريد عظيماً من العظماء ليخطبها منه.

تزوجت أم البنين عليها السلام من صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وحامل رايته، وشريكه في تحمل الرسالة، ووصيّه.

لقد تزوّجت ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وآله:

«أَنْتَ مِثِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ

بَعْدِي»^(٢).

فما هو موقع هارون عليه السلام من موسى عليه السلام؟

لقد كان موقعه الشراكة في تحمل رسالة الله، وجاء تعيينه وانتخابه من قبل الله تعالى بطلب من موسى عليه السلام، بعد

أن قال لربه: ﴿هَارُونَ أَخِي﴾^(٣) أَسَدُّدٌ بِهِ أَرْزَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ

(١) الأمامي (للطوسي)، النص، ص: ٥١٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص: ٦٤٧.

فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴿١﴾.

وهارون عليه السلام مات قبل موسى عليه السلام، ولم يكن خليفة له، إنما كان شريكاً له بنص الآية.

فقول النبي ﷺ في حق علي عليه السلام يعني أنه كما كان هارون عليه السلام شريك موسى عليه السلام كذلك أنت يا علي شريك في حمل الرسالة، إلا أنك لست نبياً.

إن الخلفاء من بعد النبي ﷺ رفضوا أن يُعطوا للإمام أي منصب، ولم يعرضوا عليه أي موقع، حتى مجرد قاضٍ، مع أنه كان أعلم أصحاب رسول الله ﷺ بإجماع الأمة، فبقي الإمام خمسة وعشرين عاماً جالساً في داره محاصراً، من قبل أعدائه، ومع ذلك قبلت أم البنين عليها السلام وأبوها وأمها بالإمام زوجاً لابنتهم.

هذه هي المقاييس الصحيحة في الزواج، وعليها تزوجت أم البنين عليها السلام.

سادساً: أهميّة الأخلاق في الانتخاب الزوجي

كان اختيار الإمام علي عليه السلام لأم البنين عليها السلام بناءً على صفاتها الحسنة، وصفات عائلتها، كالنبل والكرم والشجاعة.

(١) سورة طه، الآيات ٣٠-٣٣.

يقول الإمام علي عليه السلام لعقيل:

«يا عقيل.. انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من

العرب»^(١).

مع أن الرجل عادةً ما يبحث في زوجته عن الأنوثة، لكن الإمام يطلب من أخيه - وكان عارفاً بالأنساب - أن يقترح عليه امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، حتى لا يؤثر عرقها في أولادها منه.

إنّ الذي يرى جمال المرأة ميزاناً للزواج مخطئ، لأنّ الجمال - إن بقي - يصبح بمرور الزمن شيئاً عادياً، فأنت تشتري سيارة جميلة ترتاح فيها لأيام، ثم تصبح عادية لك، وكذلك حينما تسكن بيتاً جميلاً، فهو بمرور الزمن يصبح بيتاً عادياً، وكذلك فيما يرتبط بجمال المرأة فهو يصبح عادياً، وحينئذٍ لا بدّ أن تتعاش مع صفاتها الروحيّة، فإذا كانت الزوجة قد ولدتها الفحولة من العرب، فإنّ أولادها سيرثون صفاتها الحسنة، كما يرثون من أبيهم، أمّا إذا لم تكن قد ولدتها الفحولة من العرب، فهي تُورث صفات الضعف لأولادها، كما حدث لمحمد بن الحنفية، حينما أرسله الإمام علي عليه السلام لكي يهجم على جيش الجمل، فرموه بالنبال، فوقف ولم يتقدّم، فجاء

(١) عمده الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ٣٢٠.

الإمام وضرب بيده على كتفه وقال:

«أَدْرَكَكَ عِرْقٌ مِنْ أُمَّكَ؟!»^(١)

ثم أخذ منه الراية، وهجم على الأعداء، واستطاع في حملتين أن ينهي المعركة، وضمّن النصر لأصحابه، ولو كانت الأمور مخلوة لمحمد بن الحنفية لربّما كان جيش الجمل هو الذي يتصر، وليس الإمام عليّ عليه السلام.

كان الإمام عليه السلام يريد امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، لتلد له غلاماً فارساً، وصفات الفروسية عند العرب مجموعة من الصفات الحسنة كالنبيل والشجاعة والكرم والعطاء والإيثار والتضحية، هذه هي صفات الفروسية عند العرب.

كان الإمام عليّ عليه السلام يبحث عن مثل (العبّاس) في زوجته الجديدة هذه، وكان يبحث عن أخوة العباس عليهم السلام، فهو قد تزوّج لهذه النتيجة، واختار زوجة لها صفاتها الحسنة، من خلال أرومتها، ومن خلال تاريخها، وليس من خلال الجمال فقط، فأّم البنين عليهم السلام تنتمي إلى عائلة كريمة نبيلة، حتى أنّ المؤرخين حينما يتكلمون عنها يتحدثون طويلاً عن تاريخ عشيرتها، الذين كانوا من الأخيار ممن يدافعون عن المظلومين والمستضعفين، ولذلك كانوا من شيعة أمير

(١) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٩٨.

المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥ سابعاً: إكرام الصالحين

من صفات المؤمنين أنهم يكرمون الصالحين من عباد الله، فحزام اهتم بعقيل بن أبي طالب حينما نزل ضيفاً عليه، ولقد أحسن الضيافة وتجاوز فيها المقدار العادي، لأنه يعلم منزلة عقيل، كما أنه يكرمه عقيل كان يُكرم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا بخلاف بعض الناس الذين لا يهتمون بالفرد الصالح، ولا بعشيرته وأقربائه، يقول الحديث الشريف:

«الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»^(١).

فمن يحبّ رسول الله ﷺ فلا بدّ أن يحترم ابنته العزيزة عليه، فمن الصفات الحسنة المطلوبة أن تحترم الفرد، وتحترم عشيرته وقبيلته، وهذا ما فعله حزام مع عقيل بن أبي طالب باعتباره ابن عم رسول الله ﷺ.

٥ ثامناً: إرادة الله حاكمة

لا صدفَةَ في هذا الكون، وكلّ شيء هو بعين الله وإرادته، فليس بالصدفة أشار عقيل إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ببيت حزام، ولا بالصدفة قبل حزام خطبة عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنته، كما أنّه لا أحدٌ يُولد في هذه العائلة أو تلك بالصدفة، كلّ ذلك

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢، ص: ٨٦٨.

بإرادة الباري عزّ وجلّ، ذلك أنّ الله إرادة في خلق البشر،
فأنت مولود بإرادة خاصّة من ربّك، كما أنّ غيرك مولود
بإرادة خاصّة منه.

فكما أنّ زواج الإمام عليّ عليه السلام من الزهراء عليها السلام كان
بأمر من السماء، كذلك زواجه من أمّ البنين عليها السلام.

٥ تاسعاً: سهولة الزواج وتقليل المهر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أَفْضَلُ نِسَاءِ أُمَّتِي؛ أَصْبَحُهنَّ وَجْهًا، وَأَقْلَهُنَّ مَهْرًا»^(١).

لقد تمّ زواج فاطمة بنت حزام عليها السلام من الإمام أمير
المؤمنين عليه السلام بأقلّ مهر، وبكلّ سهولة ويسر، ومع أنّ
عائلة أمّ البنين عليها السلام كانت - كما ذكرنا - مرفهة إلا أنّ
مهر ابنتهم كان هو مهر السّنة، وباعتبار أنّ الإمام عليّ
عليه السلام أيضاً كان طرفاً وهو أمير المؤمنين، وقائد الغر
المحجلين، فلا غبار على أخلاقه ودينه، وهذا الأمر يجب
أن يكون قدوة للآخرين، أن لا يشدّدوا في شروط الزواج،
وأن لا يغلووا في المهر، وقد رأينا كيف أنّ الله جعل البركة
في زوجات الإمام عليّ عليه السلام وأولاده، مع قلّة مهورهنّ
وسهولة زواجهنّ، وهاهم أولاده منتشرون في كلّ مكان،
وبعشرات الملايين، يُسمّون بالأشراف في بعض البلاد،

(١) الكافي، ج ٥، ص: ٣٢٤.

وبالسادة في بلاد أخرى، وهم نتاج ذلك الزواج البسيط
من الزهراء عليها السلام، ومن أم البنين عليها السلام.

○ عاشرًا: خدمة أولاد السيدة الزهراء عليها السلام

من عبر حياة أم البنين عليها السلام أنّها قامت بخدمة أولاد
أمير المؤمنين من فاطمة الزهراء عليها السلام، فمع أنّ عمرها
كان بعمر السيّدة زينب عليها السلام تقريباً حينما دخلت بيت
الإمام عليه السلام، وكان الحسن والحسين عليهما السلام أكبر منها، إلّا
أنّها قامت بدور الأمّ لهم، وعوضتهم في الكبر عن فقدان
أمّهم الزهراء عليها السلام في بداية حياتهم وهم صغار.

○ حادي عشر: التربية الصالحة

من عبر حياة أم البنين عليها السلام حُسن التربية، فقد ربّيت
من قبل والديها بشكل جيّد، وربّيت أولادها أيضاً بشكل
جيد؛ فحينما خطب عقيل هذه المرأة الصالحة لأمير
المؤمنين عليه السلام، قال أبوها: دعني أسأل أمّها، هل تليق
بوصيّ رسول الله عليه السلام، وابن عمّه، أو لا تليق؟

فجاء إلى أمّها وسألها عن ابنتهم فقالت: تعرف أنّي ما
قصّرت في تربيتها، كما أنّك لم تقصر أيضاً في تربيتها.

حينما يهتم الأبوان بتربية الأولاد، رجالاً ونساءً، فإنّ
ذلك في مصلحتهم، ومصلحة الأولاد أيضاً، فمن لا يهتمّ

بابنته في الصغر، فهو يتلاعب بمصيرها في الكبر، وكذلك من لا يهتم بتربية ولده في الصغر، فإنه يندم على ذلك حين لا ينفعه الندم.

٥ ثاني عشر: الاعتماد على الله

من عبر حياة السيِّدة أمِّ البنين عليها السلام أن من يتوكَّل على الله، ويترك الأمور له تعالى، فإنَّ الله يتولى أمره، بينما الذي يريد أن يعتمد على نفسه، فإنَّ الله يوكله إلى نفسه، فالآباء الذين يرفعون سعر المهر لضمان سعادة ابنتهم، ربما يتركهم الله وشأنهم، وينتهي زواجهم إلى ما لا يُحمد عقباه، بينما الذي يعتمد على الدين، ويلتزم بما جاء به، فإنَّ الله يتولى أمره.

لقد كان مهر فاطمة الزهراء وهي سيِّدة النساء عليها السلام، خمسمائة درهم، وكذلك مهر فاطمة بنت حزام، وكما أنَّ الله بارك لعلِّي عليه السلام في زواجه بالزهراء عليها السلام، فإنَّ الله بارك لفاطمة أمِّ البنين عليها السلام في زواجها بعليِّ عليه السلام لنفس السبب. وكذلك في باقي الأمور؛ فكلُّ من يُوكل أموره إلى الله فإنَّ الله يسهلها له، ويجعل النجاح حليفه، أليس هو القائل:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْعُمْرَةِ الْقُدَّةِ

جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿١﴾.

هـ ثالث عشر: العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام

عندما يرتبط أحدُ بعائلة نبيلةٍ كريمة، كعائلة النبي الأكرم عليه السلام، فإنَّ شرف تلك العائلة ينعكس عليه، ومع أنَّ عائلة أمِّ البنين عليها السلام كانت شريفة، ولكن أين شرفها من شرف النبي ووصيِّه عليه السلام؟

إنَّ عائلة أمِّ البنين عليها السلام إن لم تكن قد اقترنت بأمرير المؤمنين عليهم السلام لكانت تبقى مجهولة في التاريخ، ولكنَّ اقتران الإمام عليه السلام بفاطمة بنت حزام عليها السلام جعل منها عائلة معروفة، يبحث الناس عن صفاتهم، وحياتهم، وبطولاتهم، وسوابقهم.

وحينما ترتبط المرأة برجل من أمثال الإمام علي عليه السلام، وتتقيّد بمتطلبات هذا الارتباط، فتصبح زاهدة في حياتها، متواضعة في مواقفها، مضحية بأولادها، فإنَّ الله يرفع شأنها، ويعطيها ما يعطي أهل البيت عليهم السلام، فهي، وإن لم تكن منهم، لكنَّها أصبحت امرأة غير عادية بمقامها، وصفاتها، وعطائها، وتضحياتها، وكأنتها من أهل البيت عليهم السلام، تُقصد في حوائج الناس، ويقضي الله عزَّ وجلَّ ما يطلب منه المؤمنون والمؤمنات المتوسلون بها.

(١) سورة الطلاق، الآيات ٢-٣.

إِنَّ مَا نتعلمه من السيِّدة أمِّ البنين عليها السلام هو كيفية الارتباط بأهل البيت عليهم السلام، فجميعنا قادرون على تقوية رابطتنا بهم، سلوكاً وعملاً وبذلك نحظى بالفوز في الدارين.

○ رابع عشر: التواضع

لقد تواضعت السيِّدة أمِّ البنين عليها السلام في بيت أمير المؤمنين عليه السلام لدرجة أنها ألغت نفسها وشخصيتها وحتى اسمها، وأنزلت نفسها منزلة الخادمة لأهل البيت عليهم السلام، ولذلك فقد تحقق فيها الحديث الشريف:

«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١).

(١) الكافي، ج ٢، ص: ١٢٢.

نذورات يسيرة للحاجات الكبيرة

أمّ البنين عليها السلام تقضي الحاجات الكبرى بنذورات يسيرة، إنها قمّة الكرم.

لا حاجة لغيرها

مع أمّ البنين عليها السلام لا حاجة لاستيراد بطولات في عالم المرأة، لتكون نماذج للتضحية في سبيل القيم والمثل.

أم يحسدونها!

ويلهم أيحسدون أمّ البنين عليها السلام على ما آتاهها الله من فضله، واصطفاهها بلطفه؟

أمّ البنين عليها السلام الوسيلة إلى الله

قال الله العظيم في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا
إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾^(١).

الحديثُ عن عظماء التاريخ
وعظيماته حديثٌ يتدبّر ولا ينتهي،
لأنّ وجودهم - وإن كان في فترة
قصيرة من الزمن - إلا أنّ العبرَ من

(١) سورة المائدة، الآية ٣٥.

حياتهم تمتد إلى كل الأزمان ما دامت السموات والأرض،
فمثلاً الحديث عن السيِّدة أمّ البنين عليها السلام، حديث عن
الإيمان، والوفاء، والتقوى، والعطاء، والأخلاق الحسنة،
وتربية الأولاد، وعن كل ما جاءت به الديانات السماوية،
من آدم عليه السلام إلى الخاتم عليه السلام.

فإذا كنّا نتحدث عن أبي الفضل، أو عن عبد الله، أو
عن جعفر، أو عن عثمان عليه السلام فنحن نتحدث بالضرورة
عن أبيهم الإمام عليّ عليه السلام، وعن أمّهم أمّ البنين عليها السلام،
ذلك أنّه من الثمرة تُعرف الشجرة، فلو أنّك حصلت
على تفاحة جميلة ناضجة ذات رائحة طيبة، تعرف بأنّ
الشجرة كانت سليمة، وقد زُرعت في أرضٍ سليمة،
فالشجرة الطيبة تُعطي ثماراً طيبة، والشجرة الفاسدة
تُعطي ثماراً فاسدة، فإنّا من نتاج العمل نعرف العامل،
فكم من النساء جئن إلى هذه الحياة ورحلن عنها، من
دون أن يتركن فيها أثراً طيباً!

تُرى كم هو عدد النساء على الكرة الأرضية اليوم؟

وإذا أخذنا عدد النساء منذ زمن أمير المؤمنين عليه السلام، إلى
الآن فهنالك المليارات من اللاتي جئن ورحلن، لكن كم
منهن بقيت تُذكر في التاريخ، كما تُذكر أمّ البنين عليها السلام؟

أمّ البنين عليها السلام هي شمس لم تنزل ولا تزال ولن تنزل
مشرقة، والناس يؤمنون بها، ويتوجهون إليها، ويحضرون

مجالسها، ويفتخرون بها، لأن هنالك امتيازات في هذه المرأة المؤمنة الصالحة ليست في كثيرات من النساء، فهي لم تكن من أهل بيت النبي ﷺ، ولكنها وضعت نفسها في مصافهم، وحينما نتذكر علياً ؑ لا بد أن نتذكر أم البنين ؑ بأولادها، وأعمالها، ومواقفها، وطاعاتها، وحسن أخلاقها، وكذلك إذا ذكرنا الإمام الحسن أو الإمام الحسين ؑ.

لقد خلقنا الباري عز وجل ليرحمنا ولكي يدخلنا الجنة، لأنه يريد لنا الخير، ولكننا كبشر نساق مع شهواتنا ورغباتنا أحياناً، ونشذ عن الطريق أحياناً أخرى، بينما ربنا يريد أن يربطنا به من خلال أنبيائه وأوليائه ؑ، فهذا الارتباط بالأولياء هو ارتباط بالله.

والذين يقولون إن الاهتمام بأولياء الله، وبالصالحين من عباد الله، هو نوع من أنواع الشرك لم يفهموا لا طبيعة الدين، ولا طبيعة الناس؛ إن ربنا خارج عن المادة، أمّا نحن فماديون، ولأننا ماديون فقد عيّنا أولياء، كانوا يعيشون على الأرض مثلنا، لنقتدي بهم، وكذلك أوجب علينا واجبات ماديّة، في أماكن معيّنة؛ مثلاً رب العالمين يوجب علينا الذهاب إلى الحج، والحج عبارة عن بيت بلا سقف، وأحجار تمّ وضع بعضها على بعض من دون ترتيب، فلا تخطيط لها، ولا هندسة، وعليك أن تطوف

حول الكعبة، كأنك تطوف مع الملائكة الكرويين حول العرش، فلماذا الحاجة إلى الكعبة؟

والجواب: لأننا ماديون ولا بدّ أن يربطنا الله عزّ وجلّ بما يرمز إليه مادياً كالكعبة، أو الحجر الأسود، وهو يمين الله في أرضه.

وحيثما نؤمن بالأولياء فلا نؤمن بهم في (عرض) إيماننا بالله، وإنّما في طول ذلك، والفرق بين الأمرين هو أنّك أحياناً تتوسّل بشخص كما تتوسّل بالله وتعتبره ربّك! وأحياناً لأنّه وسيلتك إليه، نحن نعتبر الأولياء وسيلة إلى ربّنا، والله هو الذي أمرنا بذلك حيث قال عزّ وجلّ:

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١).

لقد ورد في أحاديث متعددة قولهم ﷺ:

«نَحْنُ الْوَسِيلَةُ إِلَى اللَّهِ»^(٢).

إنّ النبيّ ﷺ وسيلة الله، والنبيّ ﷺ مخلوق وليس خالقاً، ولولا إرادة الربّ في خلقه لما كان النبيّ ﷺ.
فالله أعظم، وأجلّ، وأعلى من جميع أنبيائه وأوصيائه، ونحن لا نتخذهم أرباباً من دون الله، بل نتخذهم شفعا إلى الله، فهم أدلاء عليه، وعلامات في طريق الجنّة، فتتخذهم

(١) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص: ٢٣.

قدوة في الحياة.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

فإيمانك بالنبِيِّ ﷺ ليس في مقابل إيمانك بالله، لأنَّ النبيَّ ﷺ جاء من قِبَلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، نتخذه وسيلة إلى الله، لذلك لا تكتمل شهادة الإيمان بأن يشهد المرء لله بأنَّه لا إله إلا هو، وإنَّما لا بدَّ أن يشفعه بشهادة أنَّ محمداً رسول الله ﷺ.

يقول ربنا عزَّوجلَّ:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

وهكذا فإنَّ اتِّباعنا للنبيِّ ﷺ ليس في مقابل اتِّباعنا لله، وإنَّما هو في عَرْضِهِ، كما أنَّك حينما تقبل من موظف البلدية ما يأمرُك به، فإنَّ ذلك ليس في مقابل إطاعتك لرئيس الدولة، أو في مقابل إطاعتك للنظام القائم، وإنَّما لأنَّ النظام يطلب منك ذلك، فأنت تقبل أوامر مَنْ يمثِّل الدولة، وهذا ليس في عَرْضِ السُّلْطَةِ، بل في طَوْلِهَا، فإطاعتك لشرطي المرور في الشارع مثلاً هي طاعة للدولة

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣١.

كلّهما، لأن الشرطي يُمثّل الدولة، فلأنّك تقبل بهذا النظام فإنّك تقبل من الموظف الذي يأمرُك بما يضع النظام من قانون، فإذا أمرُك موظف الضرائب بأن تدفع قسطاً من مالك، فإن عليك أن تطيعه، لماذا؟ لأن إطاعتك له هي إطاعة للقانون.

إنّ الذين يقولون: إنّ توّسّلنا بالأنبياء والأوصياء والأولياء شرك لم يفهموا الدين.

أمّ البنين عليها السلام امرأةٌ من الصالحات، قامت بأعمال عظيمة في حياتها، والله تعالى يريد أن ترتبط به عن طريق أوليائه، وهي منهم.

«لَا يُذْ بِقُبُورِكُمْ، مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِكُمْ، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ»^(١).

فأنت حينما تقف أمام ضريح الإمام الحسين عليه السلام وتقول له:

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ».

فأنت تسلّم على جميع الصالحين في التاريخ، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام وارثهم جميعاً، ولذلك تسلّم عليه بصفته وارث آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليه السلام، ووارث نبيّنا صلى الله عليه وآله.. وتحدّث عن جميع الواجبات وتقول:

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص: ٢٧٥.

«أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ».

وهكذا فإنك تتحدث عن الدين كله، إن ارتباطك
بالنبي ﷺ أو بالإمام هو جزء من ارتباطك بالله،
فلأنك تؤمن بالله فإنك تؤمن بالنبي ﷺ، ولأنك
تؤمن بالنبي ﷺ تؤمن بأوصيائه، فالله هو الذي
عينهم، وعلينا إطاعتهم.

حينما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ﷺ، هل كان
إبليس -الذي رفض السجود- قد أطاع الله أم عصاه؟
والجواب: لقد عصاه، لأن الله تعالى هو الذي أمر
بالسجود لآدم ﷺ قائلاً: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقُوعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾^(١)، لكن إبليس تمرد على أمر
الله، فطرد من ملكوت ربنا عز وجل، إبليس تمرد لأنه لم
يسجد لآدم ﷺ وقال لله: اعفني من السجود له وسوف
أسجد لك سجدةً تطول أربعة آلاف سنة، ورفض الله
ذلك منه فالله يريد الطاعة من عباده، وليس العبادة.
ثم إنه مطلوبٌ منك أن تسجد لله باتجاه الكعبة، أمّا
خلاف الكعبة فإنّ صلاتك باطلة، لماذا؟

(١) سورة الحجر، الآية ٢٩.

إن كنت تريد أن تعبد الله، وتذكره بالعظمة، فما الفرق في أن تصلي لله في اتجاه الكعبة أو باتجاه آخر؟
الجواب: لأن الله أمر بذلك، والله يريد منا طاعته.

من هنا فإن التشكيك في بعض الممارسات التي يقوم بها المؤمنون مثل (سفرة أم البنين عليها السلام) أمر غير صحيح، إذ ليس فيها شيء من البدعة في الدين، لأن مثل ذلك هو من باب الارتباط بأم البنين عليها السلام، وليس ذلك عبادة.

لأن العبادات لا يجوز لأحد أن يتدع فيها، يعني إذا كانت صلاة الصبح ركعتين فلا يجوز أن يزيد أحد ركعتين إضافيتين عليهما، كما لا يجوز اختراع صلاة جديدة، وهكذا في الصيام، فقد أمرنا الله بالصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، أما أن يزيد أحد على ذلك بحيث يصوم أربعاً وعشرين ساعة، ويصبح صوم الوصال، فإن الله لا يقبل منه.

يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(١) فيلزم قطع الصوم في الليل، وإن لم تفعل ذلك فهذه بدعة في الدين.

لا يجوز لأحد أن يخترع بين صلاة المغرب والعشاء

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٧.

صلوات واجبة ويسمّيها صلاة التراويح، لأن الله ما قال بها، وهو اختراع عبادة جديدة، وهذا لا يجوز، إذ لا بدعة في الدين، وقد قالها الذي أمر بها: «نعمة البدعة هذه». فالبدعة أن تخترع شيئاً في العبادات، بل لا يجوز أن تزيد شيئاً في العبادات، ولو مجرد حرف واحد، كما لا يجوز أن تحذف شيئاً منها أيضاً.

أنت في حالة التشهد يجب أن تقول: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد» كما يؤمن بذلك جميع المسلمين، فلو زدت في هذه الصيغة كلمة «الأصحاب» فقلت: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعلى أصحاب محمد»، فإنّ صلاتك بإجماع المسلمين باطلة، لماذا؟ لأنك زدت في الصلاة ما لم يرد نصّ فيها.

كما أنّك لو حذف آل محمد ﷺ، وقلت: «اللهم صلّ على محمد وسلم»، فإنّ صلاتك أيضاً باطلة، لماذا؟ لأنك حذفت كلمة واحدة، وهذا لا يجوز، فلا يجوز أن تزيد، ولا يجوز أن تنقص.

نعم هنالك أركان في الصلاة لو نسيت بعضها فالصلاة باطلة، حتّى لو كان ذلك نسياناً، أمّا غير الأركان فصلاتك صحيحة إن كان ذلك سهواً.

هذا هو شأن العبادات ولكن خارج العبادات، فمن حقك أن تقوم بأيّ عملٍ خيرٍ، حتّى لو لم يرد ذلك في

الروايات، فهذا جائزٌ.

فمثلاً لو أنك قمت بدعوة جماعة من الناس لتناول الطعام باسم النبي ﷺ، أو باسم الإمام عليّ ﷺ، أو باسم السيّدة الزهراء ﷺ، أو باسم أمّ البنين ﷺ، فما الإشكال فيه؟!!

ما الإشكال في أن أدعو الناس إلى الطعام في بيتي باسم أبي، أو أمّي أو مَنْ سبق من الموتى لأجل الثواب، فلماذا نثير الإشكال ونقول للناس بأن هذا لا يجوز؟

إنّ علينا الارتباط بأولياء الله بطريقة أو أخرى، وأن نزور قبورهم، ونؤدي صالحات الأعمال بثوابهم، وأن ندعو الناس في ذكريات موالدهم أو وفياتهم للتجمع أو لتناول الطعام.

إنّ هؤلاء قدوات لنا، وقد جعلهم الله أمامنا لكي نتبعهم ونقتدي بهم، وخاصّة النساء الصالحات من أمثال حواء ﷺ، أو آسية بنت مزاحم ﷺ، أو مريم ابنة عمران ﷺ، أو السيّدة خديجة ﷺ، أو السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ، أو أمّ البنين ﷺ، فهذا من تكريم الله للمرأة، فالله لا يميّز بين الرجال والنساء، إلّا في أحكام معيّنة، فالله هو الذي خلق الرجل رجلاً، وخلق المرأة امرأة، ولقد أمر بحسن التعامل مع المرأة، ولقد أكرمها النبي ﷺ وهو القائل:

«مَنْ اتَّخَذَ زَوْجَةً فَلْيُكْرِمَهَا»^(١).

وعندما يريد أن يضرب الله مثلاً للقدوة الصالحين للمؤمنين يضرب لهم المثل بالمرأة:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلْمُ﴾^(٢).

إنّهُ مثال للذين آمنوا، إنّهُ مثال لي ولك، وليس فقط للنساء، وهكذا فإنّ أمّ البنين عليها السلام قدوة للرجال والنساء، فالله تعالى يريد المرأة كريمة، ومن أول ما جاء به هذا الدين أن منع وأد البنات، فالمرأة لها قيمتها وكرامتها عند الله، حتّى أنّ الإسلام يقول:

«الْيَمْنُ فِي الْمَرْأَةِ».

فالبركة في المرأة، ومن يريد البركة في حياته الماديّة والمعنويّة فليتزوّج.

في بعض البلدان هنالك قانون يرتبط بالطلاق، فإذا

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج ١، ص: ٤١٢.

(٢) سورة التحريم، الآيات ١١-١٢.

طلّق الرجل زوجته، فإنّ عليه أن يدفع لها نصف ثروته التي جناها بعد زواجه، ولعل هذا القانون ليس عبثياً، لأنّ الرجل حصل على ما حصل عليه بسبب بركة زوجته، فالله رزقه بسبب زوجته، وعليه أن يدفع لها نصف ما حصل عليه من المال بسببها.

ولست هنا في مقام سنّ قانون، ولا إعطاء فتوى.

وعلى كلّ حال فإنّ البركة في المرأة، ولذلك فإنّ الأنبياء والرّسل ﷺ كانوا يرفعون من شأن المرأة، يقول النبيّ الأعظم ﷺ:

«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(١).

فأفضل الرجال من يكون فاضلاً مع زوجته.

يقول بعضهم: لكنّ الله يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

النِّسَاءِ..﴾^(٢) أليس ذلك تفضيلاً للرجل على المرأة؟

أليس من حق الرجل أن يكون سيّداً على زوجته؟

والجواب: إنّ القرآن يوضّح مقصوده من كلمة

(قوّامين) فيقول:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص: ٥٥٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٣٤.

بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿١﴾.

فإذا كانت للرجل فضيلة على زوجته، وكان هو الذي ينفق عليها، فعند الاختلاف في بعض الأمور تكون القيمة له؛ وهذا يعني أنه لا بد أن يكون للرجال فضيلة كالأخلاق الحسنة، والكرم، وطيب المعشر، حتى يكونوا قوامين على النساء، إضافة إلى مسألة الإنفاق؛ فإذا كنت تتعب من الصباح إلى الليل وتنفق عليها، وأخلاقك أفضل منها، فلك الكلمة عند الاختلاف معها.

ولذلك جعل الله الإنفاق واجباً على الرجل، ولو كانت زوجته تملك أموال الدنيا كلها.

فبشكل عام للمرأة كرامة خاصة عند الله، أمّا السيّدة أمّ البنين عليها السلام فقد كانت بالإضافة إلى ذلك، من المؤمنات الصالحات القانتات الصابرات، والحديث عنها حديث عن الإيمان بالله، وطاعته، فهي قد عرفت موقعها وقدرها في الحياة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (٢)

فما باعت هذه المرأة العظيمة كرامتها بحطام الدنيا،

(١) سورة النساء، الآية ٣٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

وتلك مسألة مهمة إذ «هَلَكَ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ قَدْرَهُ»^(١)، لقد عرفت أنّ الله خلقها بإرادة خاصّة منه، وقد خلق الشمس والقمر والجبال والوديان والبحار والأشجار والطيور، كلّها خلقها للإنسان، وعليه أن يعرف قيمته من جهة، وأن لا يطلب الزيادة عمّا وضعه الله له من جهة أخرى، لأنّ ذلك طغيان، كما أنّ عليه أن يعرف واجباته ومسؤولياته وموقعه الحقيقي.

هذا ما كانت عليه النساء العظيمات في التاريخ، فهذه السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي حباها الله بمقامات ما حبا بها أحداً من خلقه، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَهَرَ فَاطِمَةَ عليها السلام رُبْعَ الدُّنْيَا، فَرُبِعَهَا لَهَا، وَأَمَهَرَهَا الْجَنَّةَ وَ النَّارَ، تُدْخِلُ أَغْدَاءَهَا النَّارَ، وَ تُدْخِلُ أَوْلِيَاءَهَا الْجَنَّةَ، وَ هِيَ الصِّدِّيقَةُ الْكُبْرَى، وَ عَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقُرُونُ الْأُولُ»^(٢).

ومقاماتها كانت مستقلة عن كونها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فتلك كانت فضيلة إضافية لها، مع ذلك فقد عرفت موقعها من أمير المؤمنين علي عليه السلام وضرورة الدفاع عنه، مع ما لها من مقام، وكونها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فأهمّ

(١) عيون الحكم و المواعظ، ص: ٥١١.

(٢) الأُمالي (للطوسي)، ص: ٦٦٨.

ما كان لدى الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أنها عرفت واجبها تجاه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قسيم الجنة والنار، الذي لا يدخل أحد الجنة إلا من بيده صكّ منه، بمن فيهم الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وجميع الصالحين، وهذا ليس تفضيلاً لعلّي عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأنبياء، وإنما هو أمرٌ خصّه الله به، فمن أراد الله أن يدخله الجنة فإنه لا يدخل إلا بصكّ من أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ففاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ تعرف موقع عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما تعرف موقعها، فوقفت تدافع عنه، وتحملت ما تحملت، وأسقطت جنينها، وكُسِر ضلعها، واستشهدت دفاعاً عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وحينما جاءت إلى المسجد دفاعاً عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأرادت أن تدعو على القوم أرسل الإمام سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكي يمنعها من الدعاء، لأنّها لو دعت لم يكن يبقى شيءٌ على هذه الأرض، فقبلت منه وقفلت راجعة، لأنّ عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد ذلك، فبنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لا تتحدث عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وتنسبه إلى نفسها فتقول أبي:

«فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا»^(١).

(١) الإحتجاج على أهل اللجاج، ج ١، ص: ٩٩.

وهذا يعني أنّ من جملة فضائل النبي ﷺ أنّه أبو فاطمة ؑ، ألا نخاطبه بقولنا: يا أبا الزهراء؟

مع كلّ ذلك فإنّه عندما جاء سلمان بأمر من الإمام يدعوها إلى الرجوع سمعت وأطاعت، فالطاعة عند أولياء الله تتجاوز القناعة، ذلك أن القناعة هي بين المتساويين من الناس، فمثلاً إذا فتحت شركة مع زميل لك، فإذا اقتنعت بشيءٍ تعمل به، وإذا لم تقتنع فلا تعمله، لكن الطاعة هي لمن هو أعلى منك، فمع الله تعالى، وهو جبار السماوات والأرض، ليس ضرورياً أن تقتنع بأوامره ونواهيه حتى تطيعه، هذا مكان الطاعة لا القناعة، ولذلك لا نجد في القرآن الكريم كلمة (قناعة) ولكن نجد الكثير من كلمة الإطاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

إطاعة مقام الإمامة أرفع من كثير من المقامات الأخرى.

هذا ما عرفته فاطمة ؑ، وهذا ما عرفته أيضاً أم البنين ؑ، فقد عرفت موقعها من أمير المؤمنين ؑ، فهي لم تتزوج رجلاً عادياً، وإنما تزوّجت وليّ الله، وحجّته على عباده، وأمينه في أرضه.

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

ولذلك فقد ألغت نفسها، وتواضعت لله، وألغت حتى اسمها، وقالت للإمام:

«لا تنادني، فاطمة بل نادني أمّ البنين».

وهذا يعني أنها ألغت أهم ما يميّز هوية الإنسان، وهو اسمها، فكلّ امرأة يمكن تسميتها بأمّ البنين، لأنّها تعني أمّ الأولاد، كلّ واحدة عندها أولاد تصير أمّ البنين، وهذا التواضع هو سبب رفعة هذه المرأة المؤمنة. يقول الحديث الشريف:

«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١).

فحتى بعض الأماكن إذا تواضعت، فإنّ الله يرفع شأنها، يقول الحديث الشريف:

«إِنَّ مَزْدَلِفَةَ تَوَاضَعَتْ لِلَّهِ فَرَفَعَهَا اللَّهُ»

فأنت بعد الانتهاء من عرفات تذهب إلى صحراء مزدلفة، وتبقى هناك إلى ما بعد طلوع الشمس.. في عرفات ومنى يقيمون الخيم المكيّة، وبينون بنايات وعمارات، ولكن لأنك لا تقف في مزدلفة إلا سويّعات فليست هنالك خيمة لأحد، ولا تكيف، ولا تمايز، فتنام على الأرض مع كفنك الذي عليك، فلا تميّز على

(١) الكافي، ج ٢، ص: ١٢٢.

غيرك، وإذا ضيَّعك الناس فإنهم لا يجدونك عادة إلا في منى أو مكة، فتجلس في مزدلفة على الأرض، وتنام على التراب، لأن هذه الأرض تواضعت لله فرفعها الله، فكلَّ رئيس أو مرؤوس ومن يحمل على رأسه التاج، أو العمامة، فإنَّ عليهم جميعاً أن يتجرّدوا من كل امتيازاتهم، ويبقوا هناك متواضعين، لأنَّ أرض مزدلفة تواضعت لله.

أمّ البنين عليها السلام تواضعت لله، فرفعها الله عزّ وجلّ، وأعطاهم مقام استجابة الدعاء للمتوسّل بها، فالله له سنّة التعويض، فإذا سلب نعمة من أحدٍ يعوّضه بغيرها، فإذا سلب منه البصر يعوّضه بقوة السمع مثلاً، وإذا أخذ السمع من أحدٍ يعوّضه بأن يلتقط الكلمات من شفاه الناس.

فأنا شاهدت ذلك في والدتي رحمها الله التي فقدت السمع قبل عشرين عاماً من وفاتها، ولكنها كانت تلتقط الكلمات من الشفاه، ولم تكتشف النساء ذلك منها أبداً، فلم تكن نضطر لرفع صوتنا حتّى نسمعنا.

نحن نحترم الأم ونرفع من شأنها، ونتسبب إليها، بينما في عالم اليوم لا أحد يُنسب إلى أمّه، لا رئيس دولة تسمع عن أمّه، ولا زعيم، ولا الناس العاديين، بينما نحن ننسب الزهراء عليها السلام إلى أمّها، والنبويّ صلى الله عليه وآله إلى أمّه، والإمام علي عليه السلام إلى أمّه، والحسين عليه السلام إلى أمّها، والعباس عليه السلام

إلى أمه، ونهتَمَّ بالسيِّدة أمِّ البنين عليها السلام ونعتبرها رمزاً من رموزنا العظيمة، ونعتقد أن الله أعطاهها مقاماً عظيماً، لأنَّ الله عوّضها عن تضحياتها بذلك، كما أنَّ الله عوّض الإمام الحسين عليه السلام بشهادته تعويضاً عظيماً حيث روي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أنّهما قالوا:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَوَّضَ الْحُسَيْنَ عليه السلام مِنْ قَتْلِهِ أَنْ جَعَلَ
 الْإِمَامَةَ فِي ذُرِّيَّتِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَاجَابَةَ الدُّعَاءِ
 عِنْدَ قَبْرِهِ، وَلَا تُعَدُّ أَيَّامُ زَائِرِيهِ جَائِئاً وَرَاجِعاً مِنْ
 عُمْرِهِ»^(١).

لقد خيَّب الدهر أمَّ البنين عليها السلام، وتحملت آلاماً كبيرة، فقد أصيبت بمقتل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثمَّ الإمام الحسن عليه السلام، ثمَّ الإمام الحسين عليه السلام، وأعطت أولادها الأربعة شهداء دفاعاً عن الحق، ولو كانت هنالك أي امرأة أخرى، وفي عمر أم البنين عليها السلام لأبقت على الأقل واحداً منهم معها، ولكنها قدّمتهم جميعاً لخوض حربٍ معروفة التائج، فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام، عن مقتله ومقتل من معه في أوّل خطاب له في ظهر مكّة المكرمة حيث قال:

«خُطَّ الْمَوْتُ عَلَيَّ وَوُلِدَ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَيَّ جِيدٍ

(١) الأملالي (للطوسي)، ص: ٣١٧.

الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهْنِي إِلَىٰ أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَىٰ
يُوسُفَ، وَخَيْرَ لِي مَضْرُوعٌ أَنَا لِأَقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي
يَتَقَطَّعُهَا عُسْلَانٌ^(١) الْفَلَوَاتِ بَيْنَ النَّوَائِسِ^(٢) وَكَزْبَلَاءَ،
فَيَمْلَأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشًا جُوفًا، وَأَجْرِبَةً سُنْبًا، لَا مَحِيصَ
عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رَضِيَ اللَّهُ رِضَانًا أَهْلَ الْبَيْتِ،
نَضْبِرُ عَلَىٰ بَلَائِهِ، وَيُوفِينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ»^(٣).

إضافة إلى أن أي إنسان كان في ذلك الوقت كان يعرف
نتيجة المواجهة بين إمبراطورية مترامية الأطراف، يحكمها
رجلٌ أخرج نزقٌ مغرور مثل يزيد، يحمل أحقاد بني
أمية ضد النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ، وعنده جيش
من المرتزقة ووعاظ السلاطين، وبين مجموعة صغيرة لا
تتعدى مائة من الرجال والنساء والأطفال، لقد كانت
نتيجة المواجهة واضحة، ومع ذلك فقد أرسلت السيدة
أم البنين عمة النبي ﷺ كل أولادها إلى المعركة ليدافعوا عن إمامهم،
إضافة إلى أنه كان من المعروف عند أهل البيت ﷺ أن
الحسين ﷺ هو قربان الله في أرضه، فأعطت أولادها لله
بلا تردد، ولذلك جعلها الله باب الحوائج.

(١) عُسْلَان: جمع عاسيل، العاسيل: الذئب.

(٢) النواويس: منطقة تقع شمال غربي كربلاء.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٦٦-٣٦٧.

فهل في ذلك من عجب؟

بالطبع لا، لأن الله عوّضها عن تضحياتها بما أعطاها من مقاماتٍ، وجعلها باباً للحوائج، ألا تجد أن الأحاديث تقول: «إن دعاء المريض مستجاب»^(١)، فإذا ذهبت إلى مريض لتعوده فاطلب منه أن يدعو لجميع المرضى، لأن الله يستجيب له، مع أنه مريض وغير قادر على شفاء نفسه، إلا أن الله الذي سلب من عبده صحته، فإنه يعطيه بدعائه صحة الآخرين، ومن يشكك في هذه الأمور لا يعرف من سُنن الله شيئاً.

إننا نؤمن بأولياء الله، ونؤمن بأنهم أبواب حوائج العباد، لأن الله يريد أن يربطنا بهم، وأن نعبده على طريقتهم، وليس خارج تلك الطريقة، لأن الله لا يريدنا. نحن اليوم نذهب إلى الطبيب، وهو مثلنا، وولد مثلنا، ويموت مثلنا، ولكنه قد درس في الجامعة قليلاً، فنسمع كلامه ونطيعه، وإذا وصف لنا أدوية نأخذها من دون مناقشة، فلا نسأل عن فائدها؟ وماذا تعمل بأجسامنا؟ لأن علمه في تشخيص الأمراض أكثر من علمنا. إن هنالك من هو أعلم منا في كل شيء، إنه الإمام أمير

(١) قال النبي ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَةٌ؛ دُعَاءُ الْحَاجِّ فِيمَنْ يَخْلُفُ أَهْلَهُ، وَدُعَاءُ الْمَرِيضِ فَلَا تُؤَدُّهُ وَلَا تُضَجُّرُوهُ، وَدُعَاءُ الْمَظْلُومِ».

بحار الأنوار، ج ٩٠، ص: ٣٦٠.

المؤمنين عليه السلام، وهي عاشت مع أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال عنه النبي ﷺ :

**«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا؛ فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ
الْبَابَ»^(١).**

فأخذت منه العلم والحكمة، وأصبحت باباً لحوائج الناس.

إنَّ من أسباب قلة الكتابة عن أمِّ البنين عليها السلام أنَّها عاشت في ظلِّ عملاق مثل أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت الأنظار متوجهة للإمام في حياته، ثمَّ عاشت في ظلِّ الإمام الحسن عليه السلام سيّد شباب أهل الجنَّة، ثمَّ عاشت في ظلِّ سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ثمَّ مع السيِّدة زينب عليها السلام، فهي بين هؤلاء العظام عرفت موقعها بإطاعتهم، وألغت نفسها فاتبعتهم، ولذلك كان الحديث عنها قليلاً، إلا أن هنالك إضاءات من هذه المرأة الجليلة تعلَّمنا كيف يجب أن تكون طاعتنا لإمام عصرنا ووليِّ أمرنا عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهو الميزان، كما كان كلُّ من الإمام علي عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، ثمَّ

(١) ورد هذا الحديث العظيم بألفاظ متعددة ونقله الشيعة والسنة: الترمذى، الجامع الصحيح، ج ٥، ص ٤٠٤ - مستدرک الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، حديث رقم: ٤٦٩٣ - الطبري، ذخائر العقبى، ص ٧٧ - الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٢٣١ - ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٢٨٥ - ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢، ص ٣٧٨ .

الإمام الحسين عليه السلام موازين لأم البنين عليها السلام.

إن الإمامة تمثل النظام للأمة، وهي مثل الخيط الذي يجمع خرز المسبحة، فإذا انقطع الخيط انفرط الخرز وتساقط، فولاية النبي صلى الله عليه وآله وهو إمام الأئمة عليهم السلام، ومن بعده أهل بيته عليهم السلام، شرط لقبول الطاعات والعبادات، أمّا من دون الإيمان بهم فلا قيمة لأي شيء، لأن الله تعالى يريد أن نطيعه عبر هؤلاء، يقول عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ..﴾^(١).

فمن هم الوسيلة إليه؟ والمسلك إلى رضوانه؟

قال لي أحد علماء الجماعة: إن الوسيلة في قوله تعالى:

﴿..وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ..﴾، تعني الصلاة والصيام.

قلت له: إن الله تحدّث عن الصلاة والصيام في آيات مختلفة، الأمر هنا غير ذلك، إضافة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله يقول:

«نَحْنُ الْوَسِيلَةُ ..».

فهل نخالفه؟

أليس من يخالف رسول الله صلى الله عليه وآله في أمرٍ واحدٍ فهو كافر بالنبي صلى الله عليه وآله في ذلك الأمر، فكيف بمخالفته بالجملة؟

* * *

(١) سورة المائدة، الآية ٣٥.

وهكذا كانت أمّ البنين عليها السلام مثلاً للإيمان بالإمامة،
وطاعة الإمامة، كما كانت مثلاً لحُسن العلاقة بين
الزوجين، فلم نسمع أنّ الإمام عليّ عليه السلام اشتكى -ولو
لمرة واحدة- من أمّ البنين عليها السلام في أيّ شيء، ولا هي
اشتكت من الإمام عليه السلام في شيء، فهل علاقتنا الزوجية
مثل هذه العلاقة؟

نحن ذهبنا مع الأسف بعيداً في سوء العلاقة الزوجية؛
فالزوج يظلم زوجته، والزوجة تظلم زوجها، وكلّ واحد
منهما يتهم الآخر، مع أنّه لا يجوز أن يظلم أحدُ منهما
الثاني، فحتّى لو أنّ الزوجة ظلمت زوجها فليس من
حقّ الزوج أن يظلمها، إنّ الظلم طغيان.

إنّ سوء التعامل الذي يحدث أحياناً بين الأزواج
وزوجاتهم هو بعيد عن رضا الله، ورضا رسوله صلى الله عليه وآله،
لأنّه بعيد عن منهج أهل البيت عليهم السلام، فالأنبياء حتّى لو
كانت زوجاتهم غير صالحات، فإنّهم لم يكونوا يظلمونهنّ
أو يمنعونهنّ من حقوقهنّ، ولكن كثيراً من الرجال
يظلمون زوجاتهم، وكذلك الزوجات.

لقد حدث لي ذات مرة وأنا في السويد، أن جاءني رجلٌ
وقال: زوجتي طلقّتنني.

نحن كنا نسمع أنّ الرجال يطلقون النساء، ولكن
في تلك البلاد المرأة هي التي تطلق زوجها، فقلتُ له:

أعطني رقمها لأتصل بها، ولما اتصلت بها قلتُ لها: هل
طلّقتي زوجك؟

قالت: ليس فقط طلّقته، وإنما أخذت منه البيت الذي
هو ملكه، ومنعته من الاقتراب إليه!

قلت لها: زوجك عند الله عزّ وجلّ أخبث أمّ فرعون؟
قالت: زوجي.

فقلت: كيف تقولين ذلك وزوجك رجلٌ متدينٌ
ويصليّ ويصوم، وفرعون كان يقول: أنا ربكم الأعلى؟
قالت: على كلّ حال أنا أراه أبشع من فرعون.

قلت لها: الإسلام يأمر بغير ما تفعلين، ثمّ إنّ الدنيا
زائلةٌ وسوف تحاسين على أعمالك، فحتّى لو كان زوجك
ظالمًا لك، فليس من حقك أن تظلميه، لماذا تصادرين منه
البيت؟ ولماذا تمنعينه من المشي في الشارع الذي فيه بيته؟
قالت: أنا هكذا أريد.

قلت لها: الدين عندنا هو الميزان، وليس ما ترغبين
فيه وتريدين، ثمّ هنالك حقوق للزوج على زوجته.
قالت: أنا لا أريد أن أراه أصلاً، لقد تخلّصتُ منه ولا
أطيقه.

قلت لها: عندك أولاد؟

قالت: نعم.

قلت: أولادك من من؟

قالت: من عند أبيهم.

قلت: إذن نصف أولادك من عنده، ونصفهم من عندك.

قالت: المهم لا أريده، ولا أريد السماع عنه.

وأقفلت الخط!

* * *

امرأة أخرى أخذت أولادها وبناتها، وهربت من زوجها، اتصلت بها وقلت لها: لماذا تمنعين أولادك من الاتصال بأبيهم؟

قالت: لا أريد لهم أن يتكلموا معه.

قلت: هذا ليس من حَقِّك، لأنَّ فيه قطعة رحم، ثمَّ أليس أولادك من «السادة»؟

قالت: نعم.

قلت: من أين جاءتهم السيادة؟

قالت من أبيهم.

قلت: وهل أبوهم سيّد؟

قالت: نعم.

قلت: لماذا تظلمينه وتقطعين رحمة؟

قالت: لا يهمّ.

قلت: لماذا تصرّين على الباطل؟

قالت: هو ظلمني.

قلت: ليس هذا مبرراً لك لتظلمينه، والحديث

الشريف يقول:

«مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ الْأَجْرِ
مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَلَائِهِ، وَمَنْ صَبَرَتْ عَلَى
سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِثْلَ ثَوَابِ آسِيَةَ بِنْتِ
مُرَاجِمٍ»^(١).

قالت: لا أريد الثواب..

وقطعت المكالمة.

* * *

فكم من حوادث بسيطة تؤدّي بالزوجين إلى الفراق،
فأحياناً يحدث الشجار بين الطرفين على كلمة بسيطة، ثمّ
يتطور الأمر حتّى الطلاق.

لقد طلب أحدهم من زوجته أن تأتي له بصحن،
فقالت له: خذه من المطبخ.. فقال لها: كيف تقولين لي

(١) مكارم الأخلاق، ص: ٢١٤.

ذلك؟

وبدأت المعركة وانتهت إلى الفراق.

إنّ العلاقة الزوجية حضارة صغيرة، فكيف يسمح البعض لنفسه بأن يهدمها بهذه السهولة؟

تُرى أمثال هؤلاء لو كانت قدواتهم أمثال السيِّدة أمّ البنين عليها السلام، هل كانوا يتصرّفون هكذا؟

ولو كانت المرأة متواضعة كأمّ البنين عليها السلام، ومضحّية كأمّ البنين عليها السلام، وخلوقة كأمّ البنين عليها السلام، هل كانت الخلافات البسيطة بينها وبين زوجها تؤدّي بها إلى الفراق؟ ولو كان الرجل يقتدي بالإمام عليّ عليه السلام، فيتعامل مع زوجته كأميرة، ويكرمها الله، ويتحمّلها مهما فعلت، هل كان الطلاق ينتشر بين المؤمنين والمؤمنات بهذه الوتيرة الصاعدة؟

السيِّدة أمّ البنين عليها السلام نموذج للصبر، والتواضع، والعطاء، عرفت موقعها فلم تُهنّ نفسها بمعاصي الله، ولا طالبت بأكثر مما لها في الحياة.

وهكذا هي أخلاق أهل البيت عليهم السلام، يخرجون من أموالهم طواعية، ولا يتقاتلون على حطام الدنيا وزبرجدها. هذا هو الحسن بن علي عليهما السلام يخرج من ماله مرّتين، ويشارك الله في أمواله ثلاث مرات، وأنا لا أطالب بأن

يفعل الناس مثله، ولكن على الأقل أن نمتنع من التقاتل على جيف الدنيا، ونمزق العائلة بسبب الترهات.

إن إبليس مترصدٌ لنا في كل مكان، وفي صغائر الأمور وكبائرها، مترصدٌ لنا في عقائدنا، وفي مناصبنا، وفي علاقاتنا، وفي أسرنا، يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ آعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١).

ويقول عزّ من قائل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢).

أطع الله، وأطع الرسول، وأطع أوصياء الله، ولا تشكك، فكم من منحرفين عن الصراط بسبب انقطاع علاقاتهم بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام!

كل يوم يأتيك من يتبع إبليس، وأنت تسمع له وتطيعه، تُرى هل إذا دخل جهنم تدخل معه؟

ابق على أصولك، واحذر أن تسقط في الامتحان، لأن الله أجارنا من أن يظلمنا، ولم يجرنا من أن يمتحننا، والامتحان أنواع، فأحياناً يكون امتحان الرجل في زوجته، وأحياناً

(١) سورة يس، الآية ٦٠.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

في ماله، وأحياناً في أولاده، وأحياناً في تجارته، وأحياناً في صداقته، وأحياناً في شهواته ورغباته، انظر أين امتحانك، واحسب حسابك كي لا تسقط في الامتحان.

السيدة أم البنين عليها السلام نجحت في امتحان التواضع، وفي امتحان العطاء، وفي امتحان العلاقة الزوجية.

لقد كانت من عائلة ثرية، وكانت من المرفهين، ولكن بعد الزواج بالإمام علي عليه السلام عاشت في بيت مثل كوخ، وكان الإمام محاصراً في بيته، وحتى حينما أصبح رئيس دولة كان يشدد على نفسه وعلى أهل بيته حتى لا يشدد على الناس، فلم يكن لأهله عنده حق أكثر من باقي المسلمين.

يأتي أمير المؤمنين عليه السلام في يوم عيد فيجد في جيد ابنته قلادة، فيقول عليها السلام لها:

«مِنْ أَيْنَ صَارَ إِلَيْكَ هَذَا الْعِقْدُ؟»

قالت: «استعرتة من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به في العيد ثم أردّه».

فيطلب الإمام عليه السلام أبا رافع ويقول له:

«أَتُخُونُ الْمُسْلِمِينَ يَا بْنَ أَبِي رَافِعٍ؟!»

فيقول أبو رافع: «معاذ الله أن أخون المسلمين».

فيقول له أمير المؤمنين عليه السلام:

«كَيْفَ أَعْرَزْتَ بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعِقْدَ الَّذِي فِي بَيْتِ
مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ إِذْنِي وَرِضَاهُمْ؟»

فقال أبو رافع: «يا أمير المؤمنين إنما ابتك وسألني
أن أعيرها إياه تترين به، فأعرتها إياه عارية مضمونة
مردودة، فضمنته في مالي، وعليّ أن أردّه سليماً إلى موضعه».
فقال له عليه السلام:

«فَرُدَّهُ مِنْ يَوْمِكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ لِمِثْلِ هَذَا فَتَنَالَكَ
عُقُوبَتِي»

ثم قال عليه السلام:

«أُولَى لِابْنَتِي لَوْ كَانَتْ أَخَذَتْ الْعِقْدَ عَلَيَّ غَيْرَ عَارِيَةٍ
مَضْمُونَةٍ مَزْدُودَةٍ لَكَانَتْ إِذْنُ أَوْلِ هَاشِمِيَّةٍ قُطِعَتْ يَدُهَا
فِي سَرِقَةٍ».

ثم يلتفت عليه السلام إليها قائلاً:

«يَا بِنْتَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنِ
الْحَقِّ، أَكُلُّ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ تَتَرَيْنُ فِي هَذَا الْعِيدِ
بِمِثْلِ هَذَا؟»

ويعيد عَلَيْهِ السَّلَامُ القلادة إلى بيت المال. (١)

أمّ البنين عَلَيْهَا السَّلَامُ تزوّجت من هذا الإمام الذي كان متشدداً في العدالة، فعندما أصبح رئيس الدولة بنى كوخاً من الخوص بيده وسكن فيه، وهو كوخ أعظم من كلّ قصور الدنيا، لأنّه كان مليئاً بالإيمان، والحنان، والتعاطف، والتعاون.

ولاننسى هنا أن من يلتزم بما جاء به الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ويتخلّق بالأخلاق الحسنة يجد البركة في حياته، فربنا أكرم من عباده، فمن يُعطي الله، فإن الله يُعطيه أضعافاً مضاعفة.

لقد قالت لي سيّدة من المنطقة الشريفة ونحن في كربلاء في أيام الأربعين:

إننا نخاطر بحياتنا ونأتي لزيارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، رغم كلّ الضغوط التي نواجهها، فهل إذا سلّمنا على الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يردّ سلامنا؟

قلت لها: أنت أكرم، أمّ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

قالت: الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرم.

قلت: إذن عندما تسلّمون عليه مرّة، فإنّه يسلم عليكم عشرين مرّة، كما أنّ الله أكرم من الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحينما أعطى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كلّ ما يملك لربّه خلال نصف نهار،

(١) تهذيب الأحكام (تحقيق خرسان)، ج ١٠، ص: ١٥٢.

أعطى الله له جبروته في هذه الأرض، كما أعطاه سلطان يوم القيامة.

وكذلك أم البنين عليها السلام فقد أعطت لربها كل بنيتها، فأعطاها الله مقامات لا يعرفها أحد، فهي المرأة المطيعة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله، والمدافعة عن الإمامة، فأعطاها الله تعالى مقاماً عظيماً.

نرجو من الله عز وجل أن يوفقنا للارتباط بها في هذه الحياة، ويحشرنا معها يوم يقوم الناس لرب العالمين.

كفء بها فخراً

نفتخر بأُمّ البنين عليها السلام: زوجة لوليّ الله.

ونفتخر بها: أمّاً لأولياء الله.

ونفتخر بها: شريكةً لزَيْنَب عليها السلام، و حاملّة راياتهم،

والناطقّة باسمهم.

وكفى بذلك فخراً.

ينكرون مناقبها!

كما لا ترى خفافيش الليل أنوار الشمس في رابعة النهار، كذلك لا يرى المرجفون مناقب أمّ البنين عليها السلام في هذه الحياة.

كان العباس عليه السلام وريث أمّه

من أمّه ورث العباس عليه السلام الوفاء..

ومن بسالتها، ورث البسالة..

ومن تضحياتها، ورث التضحية..

كما ورث من أبيه عليه السلام تقواه، وورعه، وشجاعته وإخلاصه، وكلّ أخلاقه الفاضلة.

بين هاجر وأُمّ البنين

رفع الله شأن هاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ، وجعل حجرها جزءاً
من بيته الحرام، لأنها صبرت على عطش ابنها
فترة قصيرة من الزمن، حتى سقاه الله من
زمزم.

أفلا يرفع الله من شأن أمّ البنين عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي
التي صبرت على مقتل أولادها عطاشى بطف
كربلاء؟

واللهُ تعالى، هو الله.

وسنتّه هي سنتّه، لا تبديل لها ولا تغيير؟

مضرب المثل

أمّ البنين عليها السلام قدوة الصالحات في:

تقواها وإيمانها..

عفافها وصدقها..

صفائها وتواضعها..

صبرها وتحملها..

الكرم في أجل صوره

كريمة هذه المرأة العظيمة..

فهي بعد مرور أكثر من ألف عام

لا تزال تقضي للناس حاجاتهم..

وتتوسط لهم عند ربهم في قضائهم.

العباس عليه السلام وريث أبيه وأمه عليها السلام

لم تكن أمّ البنين عليها السلام على قدّ قامة أمير المؤمنين عليه السلام، لكنّها كانت أمّ العباس عليه السلام، فمن أمّه ومن أبيه ورث أبو الفضل بطولته، وشجاعته، وبسالته.

قبرها يرعبهم

مثلما يُرعب شبح النور خفافيش الليل، فإنّ السيّدة أمّ البنين عليها السلام تُرعب جنود الظلام حتى وهي في عالم الآخرة..

ألا ترى كيف يقف جلاوزة آل سعود حول قبرها، حتّى لا يقترب المؤمنون إليه؟

الزهراء عليها السلام قدوتها

كانت فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة أم البنين عليها السلام في حياتها، فقد اقتدت بها في إيمانها، وتقواها، وتضحياتها، واستنسخت مواقفها منها.

إنها الإرادة الإلهية

لا نعتقد أن الصدف هي التي جمعت السيِّدة أم البنين عليها السلام بأمرير المؤمنين عليهم السلام، بل هو التقدير الإلهي الذي يجمع النور إلى النور، ويدمج الخير بالخير.

أمّ العباس

كيف لا تكون أمّ البنين عليها السلام باباً لقضاء الحاجات،
وهي التي تحمّلت في سبيل الله آلام فقد أولادها الأربعة،
وفيهم البطل المغوار أبو الفضل العباس عليه السلام؟

دعونا معهم

دعونا نكون مع آمنة، وخديجة، وفاطمة،
وزينب، وأمّ البنين عليها السلام، وانهبوا إلى هند، وأمّ الحكم،
وجعدة، وزبيدة، ومليون امرأة أخرى.
نرضى بهذه القسمة بيننا وبينكم في الدنيا
والآخرة.

زيارة السيدة أم البنين عليها السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ
سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ
سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا زَوْجَةَ وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا عَزِيزَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّ الْبُدُورِ
السَّوَاطِعِ فَاطِمَةَ بِنْتَ حَزَامِ الْكَلَابِيَّةِ، الْمُلقَبَةُ بِأُمِّ الْبَنِينَ
وَبَابِ الْحَوَائِجِ.

أَشْهَدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنَّكَ جَاهَدْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِذْ

ضَحَّيْتُ بِأَوْلَادِكَ دُونَ الْحُسَيْنِ بْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، وَعَبَدْتُ
 اللَّهَ مُخْلِصَةً لَهُ الدِّينَ بِوَلَائِكَ لِلْإِيْمَةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمْ
 السَّلَامَ، وَصَبَرْتُ عَلَى تِلْكَ الرِّزْيَةِ الْعَظِيمَةِ، وَاحْتَسَبْتُ
 ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَزَرْتِ الْإِمَامَ عَلِيًّا فِي الْمَحَنِ
 وَالشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ، وَكُنْتُ فِي قِمَّةِ الطَّاعَةِ وَالْوَفَاءِ،
 وَأَنْتَ أَحْسَنْتِ الْكِفَالََةَ وَأَدَيْتِ الْأَمَانَةَ الْكُبْرَى فِي حِفْظِ
 وَدِيْعَتِي الرَّهْرَاءِ الْبُتُولِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَبَالَغْتِ وَأَثَرْتِ
 وَرَعَيْتِ حُجَجَ اللَّهِ الْمَيَامِينَ، وَرَغَبْتِ فِي صَلَاةِ أَبْنَاءِ رَسُولِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَارِفَةً بِحَقِّهِمْ، مُؤْمِنَةً بِصِدْقِهِمْ، مُشْفِقَةً
 عَلَيْهِمْ، مُؤَثَّرَةً هَوَاهُمَ وَحُبَّهُمْ عَلَى أَوْلَادِكَ السُّعْدَاءِ.

فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَتِي يَا أُمَّ الْبَنِينَ مَا دَجَى
 اللَّيْلُ وَغَسَقَ، وَأَضَاءَ النَّهَارُ وَأَشْرَقَ، وَسَقَاكَ اللَّهُ مِنْ رَحِيْقِ
 مَخْتُومٍ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، فَصِرْتِ قَدْوَةً لِلْمُؤْمِنَاتِ
 الصَّالِحَاتِ، لِأَنَّكَ كَرِيْمَةُ الْخَلَائِقِ، عَالِمَةٌ مُعَلِّمَةٌ، نَقِيَّةٌ
 رُكِيَّةٌ، فَرَضِي اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ، وَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ
 الْكَرَامَاتِ الْبَاهِرَاتِ، حَتَّى أَصْبَحْتِ بِطَاعَتِكَ لِلَّهِ وَلَوْصِي
 الْأَوْصِيَاءِ وَحُبِّكَ لِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ الرَّهْرَاءِ، وَفِدَائِكَ أَوْلَادِكَ

الأربعة لسيد الشهداء باباً للحوائج، فاشفعي لي عند الله
بغفران ذنوبي وكشف ضري وقضاء حوائجي، فإن لك
عند الله شأناً وجاهاً محموداً.

والسلام على أولادك الشهداء، العباس فمريني هاشم
وباب الحوائج، وعبد الله وعثمان وجعفر، الذين استشهدوا
في نصره الحسين بكربلاء، والسلام على ابنتك الدرّة
الزّهرة الطاهرة الرضيّة خديجة، فجزاك الله وجزاهم الله
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، اللهم صل
على محمد وآل محمد.

السلام عليك يا زوجة ولي الله، السلام عليك يا زوجة
أمير المؤمنين، السلام عليك يا أم البنين، السلام عليك يا
أم العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي
الله تعالى عنك، وجعل الجنة منزلك ومأواك، ورحمة الله
وبركاته.

الفهرس

٧	الإهداء
٩	المقدمة
١٥	رؤيا بالجوهرة
١٩	الجوهرة المتلائة
٢١	لقد اصطفاه الإمام عليّ <small>عليه السلام</small>
٢٧	وجاء الفارس المنطور
٤١	قدوم العروس الكريمة
٤٣	لا تسمّني فاطمة

- ٤٧ مسيرة العطاء في بيت الوصيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
-
- ٥٣ بخلقها تشبَّهت بأهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ
-
- ٥٩ كربلاء منتهى التضحية والإيثار
-
- ٦٣ السيِّدة المضحِّية تتحمَّل الآلام
-
- ٨٩ إنجازات أمِّ البنين عَلَيْهِ السَّلَامُ
-
- ٩٣ هي بابٌ للحوائج
-
- ٩٧ حِكْمٌ عَظِيمَةٌ من حياة أمِّ البنين عَلَيْهِ السَّلَامُ
-
- ١٢٣ أمِّ البنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الوسيِّلة إلى الله
-

من إصدارات المؤلف

- حوارات قصيرة.
- كيف تبني نفسك يوماً بعد يوم؟
- حوار معارف في أصول الدين وفروعه.
- معجم حِكَم الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَام.
- حوار ساخن عن الإلحاد.
- الصداقة والأصدقاء.
- سلسلة تعلم كيف تنجح:
 - مفاتيح النجاح.
 - عوامل النجاح.
 - أساليب النجاح.
 - فنون النجاح.
 - واجه عوامل السقوط.
 - أنت أيضاً يمكنك أن تنجح.
 - كيف تتغلب على الفشل؟
- كيف تتمتع بحياتك وتعيش سعيداً؟
- هذا الدين للقرن الواحد والعشرين.
- التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة.
- لثلا يكون صدام حضارات.
- تهافت النظرية الدارونية وسقوط النظريات التابعة.
- شخصية الطاغوت.
- ألف باء الإسلام.
- ٣٥ حكمة من حكم الحج.
- المرأة الرسالية.. واجبات ومسؤوليات.
- مطلوب من الإسلاميين.
- رسالة المسلم إنقاذ العالم.
- الصراع والتحدّي في حياة الرسالي.

جوهرة المدينة

السيدة أم البنين عليها السلام من أعظم نساء هذه الأرض: إيماناً، وعطاءً، ووفاءً، وشجاعةً، وصدقاً، وإخلاصاً.

ومن أكثرهنّ تضحيةً في سبيل الله، وتحملاً للمصائب، وصبراً على ألم الجراح.

عاشت في ظل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكانت له خير زوجة ومعينة، في زمن تبدلت فيه الموازين، وأصبح الناس يرون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، حتى أصبح مثلها نادراً عند جميع النساء في التاريخ.

هذا فيما يرتبط بهذه الحياة، أما عند ربها فلا يعلم مقاماتها أحد ممن يعيش في الدنيا. وهذا الكتاب مجرد إضاءات من حياة هذه القدوة الربانية؛ سيّدة الإخلاص، وسيّدة التقوى، وسيّدة الورع، وسيّدة التضحية، وسيّدة الوفاء.. إنها أم البنين عليها السلام.

